جامعة الأزهـــر

كلية اللغة العربية بالمنصورة

التضمين والتناوب فى العربية

بين

النظرية والتطبيق

تأليف

د / محمود محمود الدريني

أستاذ اللغويات المساعد بجامعة الأزهر

الطبعة الأولى

١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م

بسم الله الرحمن الرحيم

المُقَدِّمَةُ :

الحمدُ للهِ ولّى النعمِ ومقسم الأرزاقِ مُنْذُ القدمِ ، وخالقِ الخلقِ من العدمِ ، والصلاة والسلام على خيْرِ العربِ والعجمِ سيدنا محمدﷺ وعلى آله وصحبه أُولِي النُّهى والْهِمَمِ .

وبعـــد ....

فإنَّ ظاهرة التضمين في العربية إحدى ظواهر التأويل ، يُلْجأ إليها عـند بعضهم – لصرف النصوص عن ظاهرها راداً لها إلى ما أصـلوه وَقَعَّـدُوه ، كَـأَنْ يَتَعَدَّى فِعْلٌ بحرف ، وهو في الأصل يـتعدى بنفسـه ، أو يـتعدى بنفسه وهو في الأصل ممّا يتعدى بحـرف ، أوْ أنَّ حـرفاً اسـتعمل في غيْرِ معناه الذي وضع له وهكـذا ، فالحـامل عـليه والباعث إليه ،هو مراعاة الانسجام والـتلاؤم في التراكيب ، فبعض الحروف في بعض التراكيب لا تلائم الفعل الذي تقع في سياقه أو تتعلق به ، ولا ينسجم الحرف مـع ظاهـر الفعل ودلالته ، وتُصبح الدّلالة المباشرة للفعل غير مـرادة ولا متعيـنة ، ومـن ثَـمّ كان القول بالتضمين ، إحداثاً للانسجام والتلائم في التراكيب على أنَّ الكوفيين يأخذون بظاهر الـتراكيب ، ولا يعمدون إلى التضمين ويرون صحة إنابه بعض حـروف الجرعن بعضها فالمدار عندهم الحرف والتجوز يقع

فيــه وراحـــوا يحملون الحروف التي لا تنسجم مع الأفعال التي وقعــت في سياقها على معاني حروفٍ أُخرى تنسجم مع الأفعال الــتي وقعــت في سياقها أو التي تتعلق هي بها ، وقد جنح ابن هشام إلى مذهبهم فقال ومذهبهم أقلّ تعسفاً .

ومـــا ادّعاه الكوفيون يَصْعَبُ تطبيقه على جميع النصوص ، كما أنّ تطبيقه على ما يمكن منها يفوت كثيراً من القيم البلاغية والأدبية ، والإشارات البديعة التي تكمن في التراكيب ، لانحصارهم في الحرف ، وعدم مجاوزته إلى الفعل الذي يُعْمدُ إليه في تحديد مضمون الجملة تقريـــباً قال ابن جني: " وذلك أنهم يقولون إنّ " إلى " تكون بمعنى "مع" يَحتَجُّون لذلك بقول الله سبحانه " مَن أنصاري إلى الله " أي مع الله ، ويقولـــون : إنّ " فـــي" تكـــون بمعنى "علـــى" ويحتجون بقولـــه عَــزّ اسمه – " ولأصلبنكم في جذوع النخل " أي عليها ، ويقولون تكون الباء "بمعنى " عن " و"على" ويحتجون بقولهم رميت بـــالقوس أي عنها ، وعليها ، ...وغير ذلك ممّا يوردونه ، ولسنا ندفع أن يكـــون ذلك كما قالوا ، ولكنا نقول : إنّه يكون بمعناه في موضع دون موضع، على حسب الأحوال الداعية إليه والمسوغة له فأما في كل موضع وعلى كُلّ حال فلا ، ألا ترى أنّك إن أخذت بظاهر هذا القول غفلاً هكذا لا مقيدا لزمك أن تقول :سرت إلى زيد ، وأنت تريد :معه وأنْ تقـــول زَيْـــدُ في الفرس، وأنت تريد :عليه، وزيد في عمرو ،

وأنــت تــريد :عليه في العداوة ، وأن تقول : رويت الحديث بزيد ، وأنت تريد :عنه ، ونحو ذلك ممّا يطول ويتفاحش " .

فــابن جني يُفصِحُ عن مذهب البصرين الذين يرون أنْ حروف الجر لايــنوب بعضــها عــن بعض قياسياً ، فَكُلّ حَرْفٍ يَستَقِلُّ بمعناه كما تستقل في المعنى حروف النصب ، وحروف الجزم ، ولا ينوب شئ منها عن الآخر لاستقلال كُلّ منها بمعنى لايكون في غيره ، ومن ثَمّ صــرفوا النصــوص التي ورد ظاهرها بإنابة حرف عن حرف إمَّا بتأويــلها تــأويلاً يقــبله اللفظ ، أو حملها على التضمين ، أو على المجاز ، فإنْ لم يكن شئ من هذا قَضَوا بشذوذ الإنابة .

والتضــمين مظهــر من مظاهر التأويل تشهد به كثير من النصوص والتراكيب بيد أنَّه مختلف في حقيقته من حيث كونه حقيقة أو مجازاً ، ففــريق يــرى أنّ المادة المتضمنة مستعملة على سبيل الحقيقة ، وآخــر يــرى أنها مستعملة على سبيل المجاز مع القرينة الدّالة ، وثــالث يرى أن في التضمين جمعاً بين الحقيقة والمجاز وجماعة يرون أنَّه من قبيل الكناية .

ولمَّــا كانت هذه الظاهرة مثار خلاف وموضع اختلاف ، فقد تعددت فيهــا أقوال العلماء – قُدَامى ومحدثين – وتباينت فمنهم من أقَرّها وأتى بالشــواهد دليــلاً عليها ، ومنهم من نفاها وردّ شواهدها إلى وسيلة أخرى من وسائل التأويل ، كالإضمار ونحوها .

عمدت إلى الكتابة عن هذه الظاهرة مبرزاً أقوال العلماء فيها مناقشاً كُلّ رأي أو قول مُؤيداً لما نختاره بالدليل الساطع والبرهان الناجع بغية الوصول إلى الحقيقة التي غابت عن كثير مِمَن كتبوا عن هذه الظاهرة ، فمن هؤلاء من ردّها مدعياً أنها مسألة أفضت إلى عُقَد صعبة وأثارت مشكلات حادة في باب التعدي واللزوم مُعَلِلاً بأنَّ اللفظ الحقيقي لا يتضمن معنى لفظ حقيقي آخر " وفاته -كغيره- أنَّ معنى لفظ ضمن معنى لفظ أي أنه أشرب معناه ، والمعنيان مرادان قصداً وتبعاً ، وإنما صح ذلك لأنَّ بين اللفظين علاقة ومناسبة .

واشترط المحققون أن يقوم في التضمين معنيان وأن يكون بين هذين جانب من مناسبة ، فإنّه ينبغي أن يكون بينهما وجه من مغايرة وانتفى على هذا أن يضمن الفعل معنى فعل هو في معناه أو في معنى كمعناه ...وإلاّ فما حاجتك أن تضمن " استند" معنى " اعتمد" وتقول : استندت عليه ، بدلاً من استندت إليه أو تعكس فتقول : اعتمدت إليه ،بدلاً من: اعتمدت عليه ،بل أى داع تعبيرى يقتادك إلى هذا ويغريك به ، أنّك إن أجزته وَطَبَعْتَ على غراره ، فاتك غرض التضمين ، وعدمت قصده وفائدته ، بل تجاوزت شرطه و حدوده ، فأوغلت في العبث فأتيت على حدود التعدية في الأفعال ، وهو ما لا يؤنس به ، أو يسكن إليه أو يساغ بحال.

وإن كان التضمين قَدْ شرع لغرض تعبيري وفائدة معنوية فالغرض فيه إعطاء مجموع معنيين ، وذلك أقوى من إعطاء معنى فذ أو أنْ تــؤدي كلمة مُؤدى كلمتين ، فليس لنا بُدّ من التسليم به بشروطه التي ذكرها المحققون على ما يبينه البحث – إن شاء الله

ومن ثَّم عمدت إلى الكتابة عن هذه الظاهرة متتبعاً ما كتب عنها وما قيل فيها ناظراً فيه بعين المبصر المحقق ، والناقد الحصيف المدقق ، راداً الحق إلى أهله والفضل لذويه وجعلت عنوان الدراسة:

التضمين والتناوب في العربية
بين
النظرية والتطبيق

وقد جاءت الدراسة في مقدمة وبابين .

ففــي المقدمة حديث عن الغرض من البحث وفائدته والباعث عليه والداعي إليه .

أما الباب الأول : فقد جاء بعنوان التضمين .

وقد اشتمل على سبعة فصول وهي :

الفصل الأول : التضمين حده وأقوال العلماء فيه

الفصـــل الــثاني : وقـــد خـــص بالحديث عن التضمين بين الحقيقة والمجاز.

الفصل الثالث: وقد جاء مشتملاً على فوائد التضمين .

الفصل الرابع : وفيه الحديث عن التضمين بين السماع والقياس.

الفصـــل الخامس : وخص بالحديث عن التضمين وأوجه التأويل في القرآن الكريم .

الفصل السادس: الحامل على التضمين والباعث إليه.

الفصل السابع : التضمين في الشعر العربي .

أما الباب الثاني

فقد جاء بعنوان : التناوب بين حروف الجر في العربية.

وقد جاء مشتملاً على أربعة فصول :

الفصل الأول : خص بالحديث عن مفهوم التناوب وأقوال العلماء فيه .

الفصـــل الــثاني : وقد جاء مشتملاً على الحروف التي قيل فيها بالتناوب .

الفصل الثالث : تحقيق القول في الإنابة.

الفصل الرابع: بين التضمين والإضمـــار .

ثم ذُيِلَ البحثُ بالفهارسِ الموضحةُ والمبينةُ .

وختاماً :

الله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وأن يكتب له القبول والرضا لدى قارئيه وناظريه فإنه ولي ذلك والقادر عليه ، كما أسأله سبحانه أن يجعله ذخراً لنا في موازين أعمالنا في يومٍ لا ينفع فيه مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

المــــؤلــــف

د/ محمود محمود الدريني

أستاذ /اللغويات المساعد بجامعة الأزهر

ا لتضمين

يُطْلَقُ التضمين في اللغة على عدة معانٍ منها :

الكفالة ، وجعل شئ داخل شئ آخر قـال ابن منظور[١] " يُقَـالُ :ضـمن الشـيء الشيء إذا أودعه إيّاه كما تودع الوعاء المتاع، والميت القبر ، وقد تضمنه هو ــ وكُلُّ شئ جعلته في وعاء فقد ضمنته إيّاه.

وفى المصـباح المـنير[٢] ضـمنت المـال وبـه ضمَاناَ فأنـا ضـامـن وضـمين (التزمتـه ، ويتعـدى بالتضـعيف فيقال ضَـمَّنْتُه المـال : الزمتـة ايـاه ،.......... وضمنت الشيء كذا جعلـته محـتويا عليه ، فضَمَّنْتُه أى : فاشتمل عليه واحتوى ، ومنه ضَـمَّن اللهُ أصلاب الفحول النَّسل فتضمنته أي ضمنته وحوته ... وتضـمن الكـتـاب كذا :حواه ودل عليه ، وتضمن الغيث النبات : أخرجه وأزكاه ...)

والتضمين ــ اصطلاحاً ــ يُطلق ويُرَا د به غير معنى واحـد ، فَيَعَـدُّ عَيْباً مـن عيوب القافية وهـو أحد معانيه قال الخطيب التبريزى (**ومن عيـوب القافية الإقـواء** ، و الإكفـاء ،

---

(١) اللسان (ضمن)

(٢) المصباح المنير صـ ٤٩٧ ، ٤٩٨ (ضمن) .

والإيطاء ، والسناد ، والتضمين ، والإجازه[1] وحدّ التضمين بقوله :

" وهـو أن تتعلق قافية البيت الأول بالبيت الثاني كقـول النابغة

وَهُمْ وَرَدُوا الجفَار عَلَى تَمِيمٍ ∴ وَهُمْ أصْحَابُ يَوْم عُكاظِ إنّى

شَهدت لَهُمْ مَـوَارد صَادِقَاتٍ ∴ شهدن بصدق الـود منى[2]

ويـراد به أيضا الاقتباس وهو أنْ يضمن المتكلم كلامه كلمه من بيـت أو آيه أو معنى مجرداً من كلام ، أو مثلاً سَائِراً أو جملةً مفيدةً ، أو فقرة من حكمـة[3].

أمّـا التضـمين ــ عـند النحاة ــ فيطلق ويراد به التوسع في استعمـال لفظ توسعـاً يجعلـه مؤدياً معنى لفظ آخـر منـاسب لـه ؛ فيعطى الأول حكم الثاني في التعدي و اللزوم ، فقد يكون الفعل لازماً فيعدى بالتضمين ، أو يكون متعدياً فيلزم ، أو يتسمر لازماً فَيُعْدَلُ به عن حرفه إلى حرف آخر .

والحق أنَّ للتضمين حدوداً كثيرة نسوق هاهنا بعضاً [4] منها قال ابن جنى اعلم أنَّ الفعل إذا كان بمعنى فِعْل آخر ، وكان أحدهما

---

[1] الكافي في علم العروض والقوافي صـ١٦٠
[2] الكافي في علم العروض والقوافي صـ١٦٦
[3] تحرير التحرير صـ١٤٠
[4] الخصائص ٣٠٨/٢ .

يَـتعَدّى بحـرف والآخر بآخر ؛فإنّ العرب قد تتوسع فتوقع أحد الحرفين موقع صاحبه إيذاناً بأنّ هذا الفعل فى معنى ذلك الآخر ؛ فلذلك جئ معـه بالحرف المعتاد مع ما هو فـي معناه ، وذلك كقـول الله عَزّ اسمه " أُحِلّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إلى نِسَائِكُمْ " وأنت لا تقـول . رفثت إلى المرأة، وإنّما تقول : رفثت بها أو معها ، لكنه لمّا كان الرفث هنا فى معنى الإفضاء ، وكنت تعدى " أفضيت "بـ " إلى" كقولك ،أفضيت إلى المرأة ، جئت بـ" إلى" مع الرفث إيذاناً وإشعاراً أنّه بمعناه " .

فيتضح من كلام ابن جنى أنّ التبادل في استعمال الحرف قد يقع بين حرفين دلالتهما واحدة ، وليس بينهما فرق كبير فى الدّلالة عـلى المعـنى العام المستفاد من بنيتهما بمعاونة بقيه عناصر التركيب .

وقد عَرّفه الزمخشرى بقوله[1]: " أَنْ يقصد بِلَفْظٍ معناه الحقيقى ، ويلاحـظ معه معنى فِعْل آخر يناسبه ،ويدل عليه بذكر شيءٍ من متعلقاته "

فَنَصّ الزمخشرى صريح في أنّ التضمين يجمع فى التركيب بَيْنَ ، دلالتين ، الدّلالة الأصلية للفعل ،ودلالة الفعل الملاحظ أوْ الحال

---

[1] الكشاف ٩٧/١.

المأخوذة منه غالباً ،الدّالة عليها القرينة المتمثلة فى الحرف الملازم لها فى التعدية سلباً وإيجاباً.

أمّـا العلامة ابن هشام فيعرفه بقوله [١] "وقَدْ يشربون لفظاً مَعْنَى لفظٍ فيعطونه حكمه ، ويُسَمّى ذلك تضميناً " .

وكلام ابن هشام صريح فى أنّ معنى التضمين ليس مقصوراً على الأفعال بل هو شامل لأنواع الكلمة (الاسم ، والفعل ، والحرف) فقد استبدل صيغه " لفظ " المقيدة بالفعل فى تعريف الزمخشرى وجعلها صيغة مطلقة غير مقيدة لتشمل أنواع الكلمة .

وقد كان لابن هشام أَثَرُ فيمن جاءوا بعده ،فساروا وفق منهجه فى اختيار الألفاظ الدالة على شمولية الحد لأنواع الكلمة جميعآ

فمن هؤلاء الذين تأثروا به فى تعريف التضمين جلال الدين السيوطى حيث قال فى تعريفه [٢] التضمين هو إعطاء الشىء معنى الشى ، ويكون فى الحروف و الأفعال و الأسماء و قال" هو إيقاع لفظٍ موقع غيره لتضمنه معناه"

---

[١] المغنى لابن هشام النحوي ٨٩٧/٢

[٢] معترك الأقران في إعجاز القرآن صـ٢٦٣، ٣٦٩ .

وعَـرّفه الاشمونى بقوله [1] " هو إشراب اللفظ معنى لَفْظٍ آخر، وإعطاؤه حكمه لتصير الكلمة تُؤدّى مؤدى الكلمتين "

ويفهـم من كلامه أنَّ التضمين ليس معناه إعطاء المعنى كاملاً ،وإنّمـا إعطاء جزء من معنى الفعل المضمن ، أوْ التلميح إليه بواسطة الحرف .

ويعـرفه **أبـو البقاء الكفوى** بقوله : [2] " هو إشراب معنى فِعْلٍ لفعـل ليعامل معاملته، وبعبـارة أخـرى"هو أن يحمل اللفظ معنى غير الذى يستحقه بغير آلة ظاهرة " .

ويعـرفه **الشيخ الصبان** بقوله :[3] (هو إلحاق مادة بأخرى في التعدي أو اللزوم لتناسب بينهما في المعنى العام أو اتحاد) .

وَعَرفّه بَعْضُهمْ بقوله [4]: "هو إشراب كلمة معني كلمة لتفيد معـنيين : **أحدهمـا بـلفظها والآخـر** بتعديـتها بحـرف مناسـب للفعل المضمن ".

---

[1] الأشمونى ٢/٩٥ .
[2] الكليات لأبي البقاء الكفوفي ٢/٢٤
[3] حاشية الصبان على الأشمونى ١/٤٥ .
[4] التحفة النظامية في الفروق الاصطلاحية ، على أكبر محمود صـ٤٧.

وعرفه مجمع اللغة العربية ممثلاً في أعضائه بأنّه : " أنْ يـؤدي فِعْل أو ما في معناه في التعبير مؤدى فِعْل آخر أو ما في معناه فيعطي حكمه في التعدية واللزوم .

ومما سبق يتبين لنا أنَّ كُلّ من عرف التضمين وارتضاه من العلماء يتفق على أنَّ التضمين هو: " إعطاء كلمة واحدة بُعْـداً أكـبر فـي الدّلالة لتصير دالة على معنيين معاً : أحدهما بصـيغتها ، والـثاني بمـا دلّ عـليه الحرف المستلزم للصيغة الأخرى وما تحمله من معنى [1]

[1] انظر الكشاف ٩٧/١ والمغنى ٦٨٧/٢ .

التضمين بين الحقيقة والمجاز

اختـــلفت آراء العلماء حول ما يحمل عليه التضمين مُذْ وُجِد في الفكر النحوي ــ حتى اليوم ــ من جهة علاقة الفعل بما يدل عليه من المعنى هل يعامل على أنّه دال على هذا المعنى حقيقة ، أم أنّ علاقته بهذا المعنى علاقة مجازية ؟

لقـــد ذكر أبو البقاء عن بعض العلماء أنّ التضمين ليس من قبيل الكناية ، ولا من باب الإضمار ، بل من الحقيقة إذا قُصد بمعناه الحقيقي معنى آخر يناسبه ويتبعه في الإرادة وذكر عن بعضهم " أنّ التضمين إيقاع لفظٍ موقع غيره لتضمنه معناه وهو نوع من المجاز "[1] .

ويرى ابن جني أنّ التضمين مستعمل في حقيقته ، وأنّه قريب من بـــاب الترادف في الأفعـــــال قـــال[2] " اعلم أنّ الفعل إذا كان بمعنى فعل آخر، وكان أحدهما يتعدى بحرفٍ ، والآخر بآخر فإنّ العرب قد تتسع فتوقع أحد الحرفين موقع صاحبه إيذاناً بأنّ هذا

---

(1) الكليات ٢/٢٤ .
(2) الخصائص ٢/٣٠٨.

الفعــل في معنى ذلك الآخر فلذلك جيء معه بالحرف المعتاد مع ما هو في معناه ...." .

والزمخشــري يَنُصّ على أنَّ المقصود بلفظ الفعل في التضمين إنَّما هو معناه الحقيقي فهو من باب الحقيقة قال[1] : " أنْ يقصد بلفظ الفعل معــناه الحقيقي ...." وإن كان بعضهم قد عزا إليه رأيا يعتبر فيه التضمين من باب "المجاز" [2].

ونظــر المحدثون في ظاهرة التضمين فما قطعوا فيه برأي فهم فيه مختلفون كاختلاف المتقدمين فيه ففي الوقت الذي يُصَرِّح فيه الشيخ " أحمد الإسكندري " بأنَّه من قبيل الحقيقة . نجد أنّ الأستاذ / صلاح الديــن الزعــبلاوي يبعد التضمين عن المجاز وإنْ لم يصرح بكونه اســتعمالاً حقيقياً للفعل في معناه الأصل فقد قال : " إنَّ المجاز الذي ليس هو تضميناً ذلك الذي لا يستعمل به اللفظ في معناه ومعنى الآخر جميعاً ، بل يتحول عن معناه الحقيقي إلى المعنى الآخر فيستعمل فيه لعلاقة بين المعنيين بقرينة مانعة من إرادة معناه الحقيقي " [3] .

فالأســتاذ / صــلاح الزعبلاوي يُعَرّف المجاز ، ويرى أنّه لا ينطبق عــلى التضمين ، بيد أنّه لا ينكر مجازيته ، ولا يؤكد حقيقته ولعله

---

(1) الكشاف ٩٧/١ .

(2) محاضر جلسات مجمع اللغة العربية بالقاهرة دور الإنعقاد الأول والثاني صـ٢١٢.

(3) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق م٥٥ج١صـ٦٨

أراد الدلالــة عــلى أنه يجمع بين الحقيقة والمجاز ، وإنْ لم يصرح بهذا نصًّا لمعرفته بعدم إجازة النحويين ذلك .

وقيــل [1]" إنّ الــلفظ مســتعمل في معناه الأصلي فيكون المقصود أصــالــة لكــن قصد بتبعيته معنــى آخــر ينــاسبه مــن غير أنْ يُسْــتَعْمَل فيـــه ذلك اللفظ ويُقدر لــه لفظ آخر فــلا يكــون مــن الكــناية ولا الإضــمار بــل من الحقيقة التي قصد منه معنى آخر يناســبها ويتبعها في الإرادة ......وهذا مبنى على أنّ اللفظ يدل على المعنى ، ولا يكون حقيقة ولا مجازاً ولا كناية ".

وقيــل [2]: إن فــي التضــمين جمعــاً بين الحقيقة والمجاز للدلالة المذكورة على معناه بنفسه ، وعى معنى المحذوف بالقرينة .

وقيل [3] إنّ التضمين مجاز مرسل لأنَّه استعمال للفظ في غير معناه لعلاقة بينهما وقرينة ٠

وقيل: لابُدّ في التضمين من إرادة معنيين من لفظ واحدٍ على وجه ٠

" وقــال الســعد فى تقرير كلام الكشاف [4] و بيان أنَّه لا يرى فى التضــمين مجازاً ولا الجمع بين الحقيقة والمجاز ، وأنَّه مع استعماله في المذكور يدل على المحذوف ما نصُّهُ : " حقيقة التضمين أنْ يقصد بــالفعل معناه الحقيقي مع فعِل آخر يناسبه ثم قــال إنّ الفعل المذكور

---

(1) حاشية الشيخ يس ٦٢/٢

(2) ،(3) السابق ٤/٢ ٠

(4) حاشية الشيخ يس على التصريح ٥/٢ .

مستعمل في معناه الحقيقي مع حذف حال مأخوذ من الفعل الآخر بمعونة القرينة اللفظية نحو : أحمد إليك فلاناً " معناه " : أحمده منْهيًاً إليك حمده ، وقد يعكس كما يقال في " يؤمنون بالغيب [1] " يعترفون به مؤمنين " .

وقيل إنَّ في التضمين جمعاً بين الحقيقة والمجاز لدلالة المذكور على معناه بنفسه وعلى معنى المحذوف بالقرينة ، وهذا إنما يقول به من يرى جواز الجمع بين الحقيقة والمجاز [2] .

وقال العز بن عبد السلام في مجاز التضمين [3] وهو أنَّ يضمن اسم معنى اسم لإفادة معنى الاسمين فتعديه تعديته في بعض المواضع كقوله : " حَقِيقٌ عَلَىَّ أَنْ لا أَقُولَ عَلَى اللهِ إلاَّ الحقَّ " فيضمن حقيق معنى حريص ليفيد أنّه محقوق بقول الحق وحريص عليه ، ويضمن فعل معنى فعل فتعديه أيضا تعديته في بعض المواقع كقول الشاعر :

*** قد قتل اللهُ زياداً عنِّى***

ضمن قتل معنى صرف لإفادة أنّه صرفه حكماً بالقتل دون ماعداه من الأسباب فأفاد معنى القتل والصرف جميعاً " فيكون كلٌ منها

---

(1) البقرة ٣

(2) حاشية الصبان يس ٤/٢ .

(3) السابق ٥٥٤/٢ .

بعــض المراد وبه يفارق الكناية فإنَّ أحد المعنيين تمام المراد والآخر وسيلة إليه لا يكون مقصوداً أصالة ،...

ولا اشــتباه بيــنه وبيــن المجاز المرسل لأنَّه مشروط بتعذر المعنى الحقيقي وهو فيه غير متعذر[1] .

والحــق أنَّ التضمين ركن مستقل من أركان البيان كالكناية والمجاز المرســل ، فهــو وســيلة تفسير مثل (المجاز) والقياس و"السماع" و"التجريد" وليس قاعدة لغوية ولا قانوناً لغوياً .

فــالتضمين كغيره مــن المصطلحات مثــل (المجاز) والقياس و" السماع " و"التجريد وسيلة تفسير وهذه المصطلحات تدل على طريقة الــتفكير الــتي يسلكها المنتج للغة ومن ثم يتساوى فيها الناس جميعاً وتتساوى فيها المستويات اللغوية .

---

(1) حاشية الشيخ يس ٢/٧

فوائـــــــد التضمين

قــال الزمخشري [1] : من شأنهم أنَّهُمْ يضمنون الفعل معنى فعل آخر فيجرونه مجراه ويستعملونه استعماله مع إرادة معنى التضمين :قال: والغرض في التضمين إعطاء مجموع معنيين وذلك أقوى من إعطاء معــنى ، ألا تــرى كيف رجع معنى " ولا تَعْدُ عيناك عنهم [2] " إلى قولــك ولا تقتحمهم عيناك مجاوزتين إلى غيرهم "ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم "[3] أي ولا تضموها إليها آكلين .

قــال الســيوطى [4] " قــال الشيخ سعد الدين التفتازانى في حاشية الكشاف فإنْ قيل : الفعل المذكور إن كان مستعملاً في معناه الحقيقي فــلا دلالــة على الفعل الآخر ، وإن كان فيهما جميعاً لزم الجمع بين الحقيقة والمجاز.

قُلْــنا: هو في معناه الحقيقي مع حذف حال من الفعل الآخر بمعونة القرينة اللفظية ، فمعنى يُقلبّ كفيّه على كذا " نادماً على كذا ولابُدّ من اعتبار الحال وإلا كان مجازاً لا تضميناً وكذا قوله " يؤمنون بالغيب" تقديره : معترفين بالغيب .

---

(1) الكشاف ٩٧/١ ، والأشباه والنظائر ١٣٣/١ .
(2) الكهف : ٢٨
(3) النساء : ٢
(4) الأشباه والنظائر ١٣٤/١

وقـــال ابـــن هشام [١] " قدْ يشربون لفظاً مَعْنى لفظ فيعطونه حكمه ويســمى ذلك تضميناً ، وفائدته : أنْ تؤدي كلمة مؤدى كلمتين .. ثم ذكر أمثلة منها قوله عزّ وجل " وما تفعلوا من خير فلن تكفروه " أي فــلن تحــرموه ، أي فلن تحرموه ، أي فلن تحرموا ثوابــه ، ولهذا عُدِّى إلى اثنين لا إلــى واحــد وقولــه " ولا تعزموا عقدة النكاح " أي : لا تنوا، ولهذا عُدّى بنفسه لا بعلي " وقوله : " لا يسمعون إلى المــلأ الأعــلى " أي : لا يصغون ، وقولهم "سمع الله لمن حمده" أي اســتجاب،َفعدى يسمع في الأول بـــ " إلى " وفي الثاني بـــ " اللام " وإنما أصله أن يتعدى بنفسه "

وقولـــــه تعالى " للذين يُؤْلُون من نسَائهم [٢] " أي يَمْتنعون من وطء نســائهم بالْحَلِف ، فلهذا عُدّى بِمَنْ ، ولما خفى التضمين على بعضهم في الآية ، ورأى أنّه لا يُقَال " حلف من كذا ، بل حلف عليه ، قـــال: "مــن" متعلقة بمعنى " للذين " كما تقول : لي منك مَبَرّة ....وقال أبو كبير الهذلي :

حمَلَنْ بهِ في لَيلَةٍ مَزْءُودَةٍ ∴ كَرْها، وعقْدُ نِطَاقِهَا لَم يُحْلَلِ [٣]

---

[١] المغنى ٦٨٥/٢ .

[٢] البقرة ٢٢٦.

[٣] والبيت من بحر الكامل ، ومزءودة : مذعورة ، وانظر مجالس ثعلب صـ٣٢٥، والأمالي الشجرية ١٤٨/١ ، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي صـ٨٧ ديوان الهذليين ٩٢/٢.

وقال قبله :

مِمَّن حَمَلْنَ به وهُنّ عَوَاقِدُ ∴ حُبُكَ النِّطَاقِ فَشَبَّ غَيْرَ مُهَبَّلِ

والشـــاهد فيهمـــا أنّـــه ضمن " حمل" معنى "علق" ولولا ذلـــك لعدى بنفسه مثل " حملته أُمُّهُ كُرهاً " وقال الفرزدق :

كيف تراني قَالِباً مِجَنِّي ∴ قَدْ قَتَلَ اللهُ زِياداً عَنِّي [1]

أي: صـــرفه عَـــنِّي بالقتل .." فضمنَ قتل " معنى "صرف" لإفادة أنّه صـــرفه حكمـــاً بالقـــتل دون ما عداه من الأسباب فأفاد معنى القتل والصرف جميعاً .

ففـــائدة التضـــمين هـــي أنْ تُـــؤدى كلمة مُؤدى كلمتين ، فالكلمتان مقصودتان معاً قصداً وتبعاً ، فتارة يجعل المذكور أصلاً ، والمحذوف حالاً كما في قوله جَلّ شأنه " وَلِتُكَبِّرُوا اللهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ [2] " كأنّه قيـــل : ولتكبروا الله حامدين على ما هداكم ، وتارة بالعكس كما في قوله عَزّ وَجَلّ " والذين يؤمنون بما أنزل إليك [3] " أي : يعترفون به مُؤمنين.

---

[1] هذان بيتان من الرجز ورواية الخصائص ٢/٣١٠

كيف تراني قَالِباً مِجَنِّي ∴ اضرب أمرى ظهره للبطن .

قَدْ قَتَلَ اللهُ زِياداً عَنِّي

[2] البقرة : ١٨٥ .

[3] البقرة :٤

ومـــن عظيـــم فوائـــد التضمين أنَّه يكون من أقوى التخريجات التي تُخَـــرّج عــليها الآيات القرآنية عندما يكثر الجدل فيها من الناحية اللغوية والنحوية .

التضمين بين السماع والقياس

ذهــب جماعة من النحاة إلى أنَّ التضمين قياس معتمدين في ذلـــك عــلى قول ابن جني [1] " ووجدت في اللغة من هذا الفــن شــيئاً كثيراً لا يكاد يُحَاط به ، ولعله لو جمع أكثره لا جميعه لجاء كتاباً ضخماً وقد عرفت طريقه فإذا مَرّ بك شيءُ مــنه فتقــبله وأنس به فإنَّه فصل من العربية لطيف ، حسن يدعو إلى الأنس بها و الفقاهة فيها ....فقس على هذا ؛ فإنَّك لــن تَعْــدِمَ إصابة بإذن الله " ورشداً " وليس ثمة شَكٌ في أنَّ كلام ابن جنى نصٌّ في قياسية التضمين .

وقــال ابــن هشام[2] " وهــو (يعنى التضمين) كثيرُ ، قــال أبو الفتح في كتاب التمام : أَحْسَبُ لو جمع ما جاء منه ، لجاء منه كتاب يكون مِئِين أوراقاً

وقـــال بقياسيته كُلٌّ من الشيخ محمد الأمير في حاشيته على المغــنى [3] وكــذا الشيخ الدسوقي الذي اعتمد كلام ابن جنى فقــال " هذا ربما يؤيد القول بأنَّ التضمين قياسي"[1]

---

[1] الخصائص ٣١٠/٢، ٣١٥ بتصرف .

[2] المغنى ٦٨٦/٢ .

[3] حاشية الأمير على المغنى ١٢٠/٢ .

وقـــال الرضى " إذا أمكن في كُلّ حرف يتوهم خروجه عن أصـلـــه وكونـــه بمعنى كلمة أخرى أو زيادته أنْ يبقى على أصل معناه الموضوع هو له ويضمن فعله المعدى به معنى من المعانى يستقيم به الكلام فهو الأولى بل الواجب فلا تقول : إنّ "عـلى" بمعـنى " مِنْ " في قوله تعالى" إذا اكتالوا على الـناس يَسْـتَوْفونَ " بـل يُضَمّن " اكتالوا " معنى تحكموا في الاكتيال وتسلطوا " ولا يحكم بزيادة " في" فى قوله

* يجرح في عراقيبها نصلى *

بل يضمـــن معنى يؤثر بالجـــرح ، وقـــد مضى كثير مـــن ذلك في أماكنه "

ورفضـــوا قـــول البصريين " بـــالتضمـــين " لمـــا في ذلـــك مـــن تكلف.

وقـــد ارتضى جُـلّ المحدثين الذين تناولوا هـــذه الظـــاهرة بالبحث والدّراســـة القـــول بقياسية التضمين ، فقد رأى الشيخ محمـــد الخضـــر حسين أنّ كثرة وروده فـــي الكلام المنثور والمنظوم تدل على أنّه أصبح من الطرق المفتوحة في وجه

---

(1) دراسات في العربية محمد الخضر حسين صـ٢٠٥ .

كُلّ ناطق بالعربية متى حافظ على شرطه وهو وجود المناسبة ، وهو ما يَعْنِي ضمناً القول بقياسيته [1] .

كما رجح كُلّ من حسين والي ، وأحمد العوامري ، وأحمد الاسكندري القول بقياسية التضمين .

وقد عَرّفَ مجمع اللغة العربية بالقاهرة التضمين وقضى بقياسيته وهاك نص قراره :

" التضمين أنْ يُؤدى فعل أو ما في معناه في التعبير مُؤدى فعل آخر أو ما في معناه فيعطى حكمهً في التعدية واللزوم ، ومجمع اللغة العربية يرى أنَّه قياسى لا سماعي بشروط ثلاثة :

الأول : تحقيق المناسبة بين الفعلين

الثاني : وجود قرينة تدل على ملاحظة الفعل الآخر ويؤمن معها اللبس [2].

الثالث : ملاءمة التضمين للذوق العربي .

---

(1) دراسات عربية صـ ٢٠٥ .

(2) النحو الوافي ٥٩٠/٢، ٥٩٢، ٥٩٣

ويوصي المجمع ألا يُلْجأ إلى التضمين إلا لغرض بلاغي [1] .

وقد علق الأستاذ عباس حسن على قرار المجمع تعليقاً طيباً ، مفـاده أنَّ هـذه الشروط هي الشروط البلاغية المعروفة في المجـاز ، وأنكـر العناء والكد الذي تكبداه أعضاء المؤتمر قـائلاً: إنَّ المذاهـب على تشعبها وعنفها لم تستطع إثبات أنَّ الـلفظ الـذي جرى فيه التضمين ليس حقيقة لغوية أصلية ، وعرض سؤالاً في غاية الأهمية وهو ما الدليل على أنْ تعدى كثير من الكلام المحتج به ولزومه ليس أصيلاً من أول أمره وليس مجازاً ، وإنَّما جاءت من التضمين ، ثُمّ سأل عن الذوق العـربي الـذي يريده المجمع ما هو ؟، وكيف يحدد ، وأنكر اقتصار التضمين على الفعل في قرار المجمع ، وذهب إلى أنَّ أدلة التضمين واهية منهارة إن صح تسميتها أدلة ، وفي ختام تعـليقه عـلى نَصِّ قرار المجمع قضى بسماعية التضمين ، وحصر القول في التضمين في حالتين :

الأولى : أنَّ الألفـاظ التي وصفت بالتضمين إن كانت قديمة في استعمالها منذ عصور الاستشهاد والاحتجاج اللغوي فإنَّ

---

[1] مجلة المجمع ١/١٨٠ ودراسات عربية صـ٢٣٦.

استعمالها دليل على أصالة معناها الحقيقي ، مادمنا لم نعرف — يقيناً — لها معنى سابقاً تركته إلى المعنى الجديد .

الثانية : أنَّ العصور المتأخرة عن عصور الاستشهاد والاحتجاج غير محتاجة إلى" التضمين" لاستغنائها عنه بالمجاز ، وغيرهما من أنواع البيان المختلفة التي تتسع لكثير من الأغراض والمعاني الدقيقة البليغة [1] .

وإن كنت أوافق الأستاذ/ عباس حسن في بعض ما ذهب إليه من إنكاره قياسية التضمين ، وربط التضمين على نحو ما بالمجاز ، فإنّي أخالفه في التفريق بين العصور ، فاللغة لا تعرف عصر استشهاد وعصر غير استشهاد فالنصوص اللغوية كلها تُعَدّ شواهد على اللغة وتطورها، وأخالفه في عَدَّة ما جاء في عصر الاستشهاد قياسياً ، وأن ما جاء في غير عصر الاستشهاد غير مفتقر إلى التضمين .

أمَّا الذين يرون أنَّ الألفاظ في التضمين مستعملة في حقيقتها وأنْ لامجازات في الأفعال أو الحروف ، فإنَّهم يعاملون ما جاء من هذه التراكيب معاملة المسموع الذي لا يمكن اعتباره أصلاً يُقَاس عليه غيره.

---

(1) النحو الوافي ٥٩٤/٢ هامش (١) بتصرف .

ومـــن هـــؤلاء الذيـــن يرون سماعيته العلامة ابن هشام فقد نقل عنه السـيوطي فـي "تذكـرته"[1] " زعم قوم من المتأخرين منهم خطاب الماريني أنّه يجوز تضمين الفعل المتعدى لواحد معنى "صيَّر" ويكون مـن باب (ظن) فأجاز : حفرت وسط الدّار بئراً ، أي صيرت ، قال: وليس "بئراً" تميزاً إذ لايصلح لـ"من" وكذا أجاز بنيت الدّار مسجداً ، وقطعت الثوب قميصاً ، وقطعت الجلد نعْلاً ، وصبغت الثوب أبيض ... قال :والحق أنَّ التضمين لاينقاس" .

قال السيوطي [2] " وذكر ابن هشام في موضع آخر من "المغنى " أنَّ التضمين لا ينقاس ، وكذا ذكر أبو حيان "

والقـــــول بسماعية التضمين هو ما جزم به أبو حيان في البحر [3] والارتشـاف[4] كمـا قضـى بسـماعيته الشيخ يس في حاشيته على التصريح [5]

وقـد عده أبو البقاء الكفوى من باب الضرورات فهو عنده سماعي لا قياسى وإنما يلجأ إليه عند الضرورة أما إذا أمكن إجراء اللفظ على مد لولـه فإنه يكون أولى وفي الوقت الذي قضى فيه مجمع اللغة العربية

---

(١) الأشياء والنظائر ١/١٣٦ .

(٢) الأشياه والنظائر ١/ ١٣٦ ، ١٣٧ .

(٣) البحر المحيط ١/٣٩٤ .

(٤) الارتشاف ٢/٣٦٥ .

(٥) حاشية يس ٢/٤ .

بالقاهــرة قياســية التضــمين و جواز استعماله ما توافرت الأسباب الداعيــة إليه فإن مجمع اللغة الأردني قد رفض فكرة التضمين أصلاً ولم يقضى فيها بقياس أو سماع ، وإنما راح يُؤيّد فكرة الكوفيين والتي تقضــي بجواز نيابة حروف الجر بعضها عن بعض متخذاً من رأي "ابــن قتيــبه" وسيلة لتأويل النصوص التي قيل فيها بالتضمين ، فقد جعــل "مجمع اللغة الأردني " تناول ابن قتيبه لدخول بعض الصفات مكــان بعض المحمل الذي يحمل عليه ما سمي بالتضمين الناتج عن تعدية فعل بحرف غير الحرف المألوف تعديته به وجعل أيضاً تناول " ابــن قتيــبه" لــزيادة الصفات المحمل لما سمى بالتضمين الناتج عن تحويــل فعــل مُتَعَدّ بنفسه في الأصل إلى فعِل متعد بحرف جَرّ ، ورفضوا قول البصريي.ن " بالتضمين " لما في ذلك من تكلف.

ومن ثَمَّ انتهت لجنة الأصول إلى قرار جاء فيه :

- تــنوب حــروف الجــر بعضها عن بعض مع المفاعيل نيابة مطردة لغرض بلاغي *
- تــزاد حروف الجر أحيانا مع مفاعيل الأفعال المتعدية مباشرة لغرض بلاغي *

وقــد جــاء قــرار لجــنة الأصول بَعْدَ مناقشة لزوم الفعل وتعديته ، مســتدلة برأي ابن جني فيما لاحظه من كثرة تحويل الفعل اللازم في العربية إلى فعل مُتَعَدّ بنفس صيغته إذا اقتضته حاجة علمية أو بلاغية

، كمــا لاحظت اللجنة أنّ من ظواهر العربية تحويل فِعْل مُتَعَدّ بنفسه إلى فعل متعد بواسطة حرف من حروف الجر وقد وردت كثير من الأمثلة والشواهد فى القرآن الكريم والنثر والشعر ، كما رأت أن من ظواهــر العــــربية تحــويل فعل متعد بحرف الجر إلى فعل متعد مباشرة "[1].

وبعد عرض الآراء ومناقشتها تبين لنا مدى الاضطراب الذي أحاط " بالتضـــمين " مُنْذُ ظهوره في النتاج اللغوي العربي باعتباره مصطلحاً يمكن التعويل عليه والأخذ به في تقويم النصوص اللغوية المتعارضة مـــع القواعد التي تحكم تعدية الأفعال وعلاقتها ببقية مكملات الجملة العربية .

فالقدامى مع ما بذلوه من جُهْد جهيد في مناقشة هذه الظاهرة لم يتفقوا عــلى شـــئ واحدٍ ممّا يتعلق بها بدءاً بتعريف التضمين ووصولاً إلى القضــاء بقياسيته أو سماعيته ولو أنّهم اتفقوا على وضع ضابط عام يحكمهــا لأدى اتفــاقهم إلى حل كثير من التساؤلات التي فرضت نفســها عــلى مَنْ جاءوا بعْدَهم بقرون عديدة ،كما تبين لنا من آراء أعضاء مجمع اللغة بالقاهرة واختلافهم فيما بينهم من جهة ، والمفارقة الكــبيرة بيــن أعضــاء هذا المجمع ككل من جهة ، وآراء أعضاء المجمع الأردنى من جهة أخرى .

---

(1) مجلة مجمع اللغة الأردنى في العدد ٣٣ السنة ١١ (الأردن ١٩٨٧ صـ١٣٩ ، صـ١٤٠)

فـتعريف التضمين لم يأخذ نمطاً تعبيريا مُوَحداً في غالب صياغاته ، فـتارة يُقَيّد بالفعل ، وأخرى يشمله ويشمل غيره ــ على ما سبق ــ وإنْ لـم تـك هناك ضرورة لاستعمال الألفاظ المشتملة على الأسماء والحـروف ، لأنَّ التضـمين – عـلى فرض التسليم به – يتعلق في الواقـع باسـتعمال الأفعال وتعديتها بحرف ليسْ ممّا تتعدى به أصلاً يفصح عن ذلك الشواهد التي تُعرض في هذا الشأن .

كمـا تـبيّن لنا أنّ القضاء بمجازية التضمين أمْرٌ يبعث على العجب ويدعـو للاسـتغراب ، فالمجـاز[1] " هو كُلُّ كلمة أريد بها غير ما وضـعت في وضع واضعها لملاحظة بين الثاني والأول فهي مجاز "أو[2] " هو كُلّ كلمة جزت عَمّا وضعت له فى وضع الواضع ، إلى ما لم توضع له ٠ من غير أنْ تَستَأنِف فيها وضعاً لملاحظة ما تجوز بها إليه وبين أصلها الذي وضعت له في وضع وضعها .

وإذا كان المجاز استعمال الكلمة فى غير ما وضعت له في اصطلاح بـه الـتخاطب على وجه يصح معه قرينة عدم إرادته [3] ، والكلمة المضـمنة دالة على معنيين في وقت واحد معناها الأصلي ، والمعنى الجديد الذي اكتسبته بالتضمين .

---

[1] أسرار البلاغة لعبدالقاهر الجرجاني صـ٣٠٤ .
[2] السابق نفسه .
[3] نغية الإيضاح لتلخيص المفتاح /عبدالمتعال الصعيدي ٨٧/٣.

قال الزمخشري[1]: "ألا ترى كيف رجع معنى "ولا تَعْدُ عيناك عنهم[2] " إلى قولك : ولا تقتحم عيناك مجاوزتين إلى غيرهم ، ونحوه : " ولا تأكــلوا أموالهم إلى أموالكم[3] " أي لا تضموها إليها آكلين لها" قال : فــإنْ قُــلتَ: أيّ غــرض في هذا التضمين قُلْتُ الغرض فيه إعطاء مجمــوع معــنيين ، وذلــك أبلغ من إعطاء معنى فذ " ألا يكون من الغريب عَدّ التضمين من المجاز .

وإذا كــانت الكــلمة المضــمنة دالــة عــلى معنيين المعنى الأصلي الموضوع له الفعل ، والمعنى الجديد المكتسب بالتضمين لأنّه تجمعه علاقة من نوع ما مع الأول فهو جمع بين الحقيقة والمجاز وإنّ لم يقل به علماء العربية فقد قال به علماء الأصول لعدم اشتراطهم أنْ تكون قريــنة المجاز مانعة، وإذا شرط في التضمين وجوب إرادة المعنيين فــليس من قبيل الكناية لأنّ المشروط فيه جواز إرادته "[4] فالمعنيان فــي التضمين كُلّ منهما بعض المراد أمّا في الكناية فإنّ أحد المعنيين تمــام المراد والآخر وسيلة إليه لا يكون مقصوداً أصالة ، فالكناية[5] لفــظ أريــد به لازم معناه مع جواز إرادة معناه حينئذ كقولك : فلانة نَــؤوُم الضــحى " كــناية عن أنّها مُرَفَّهَة مخدومة غير محتاجة إلى

---

(1) الكشاف ٤٨١/٢ والمغنى ٦٨٥/٢.
(2) الكهف :٢٨ .
(3) النساء :٢
(4) حاشية يس ٧/١ .
(5) بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح ١٧٣/٣ .

الســـعي بنفسها في إصلاح المهمات ، وذلك لأنَّ وقت الضحى وقت سعى النساء لقضاء حوائجهنّ ومهما تهنّ فلا تنام مِنْهُنّ إلاّ من تكون لها خدم ينوبون عنها في ذلك ، ولا يمتنع أنْ يُرَاد مع ذلك النوم في الضحى ، فلازم المعنى هو المقصود ، وملزومه وهو المعنى الحقيقي جائز إرادته بالنظر إلى ذات الكناية ، وقد تمتنع إرادته لعارض يمنع مـــن إرادته كقوله عزّ وَجَلّ " ليس كمثله شئ "على القول بأنّ الكاف أصـــلية وأنّـــه يُفِيـــد نفي المِثْليّة بطريق الكناية فلا يصح البتة إرادة المعـــنى الحقيقـــي فيه لأنّه يفيد ثبوت المثل له تعالـــى .تعال الله عن ذلك عُلواً كبيراً . أبَعْدَ ذلـــك يُعَدّ التضمين من قبيل الكناية والمعنيان فيـــه مقصودان وجوباً . ألا يكون من الغريب و المستغرب أيضاً عَدّ التضمين من الكناية .

والحقيقـــة أنَّ التضـــمين ركـــن من أركان البيان كالكناية والمجاز المرســـل والتجريد ،ومن ثَمَّ ــ أيضاً ــ لَيْسَ ممـــّا يوصف بأنـــّه قياسي أو سماعي لأنّه ليس قاعدة أو قانوناً لغوياً وإنما هو كغيره ممـــا ذكـــر وسيلة تفسير وبيان تدل على طريقة التفكير التي يَسْلكها المنـــتج لـــلغة ومـــن ثَـــمَّ تتســـاوى فيها الناس جميعاً وتتساوى فيها المستويات اللغوية .

فالتضـــمين ــ عندي ــ نوع مستقل من أركان البيان العربي وَقِسْمٌ رابع للحقيقة ، والمجاز ، والكناية .

بتتبعنا لأمثلة التضمين في القرآن الكريم ، والتراث الأدبي قديمه وحديثه بأجناسه المختلفة ، وجدنا أنّ قضيه الإيجاز التي جعلت هدفاً للتضمين وغرضاً أساسياً له لا علاقة لها في الواقع به ، إنّما الغرض من هذه الظاهرة هو محاولة تفسير وتأويل التراكيب التى يرى النحويون أنّها جاءت متعارضة مع القواعد قعّدُوها والضوابط التى ارتضوها ، وردها إلى قاعدة عامة تحكم استعمال الفعل أو الحرف فى التركيب فى علاقته إلى ما بعده يقول د/ تمام حسان [1] "وأمّا التضمين فكثيراً ما يكون وسيله يستعملها النحوي لحل إشكال الأصل كأنْ يكون في الجملة فعل لازم انتصب بعده المفعول به، فيضمن معنى المتعدى ، أو مُتَعَدّ لَم يصل إلى المفعول إلا بواسطة فيضمن معنى اللازم ، أو حرف استعمل فى مكان حرف آخر فيقول النحوى بتضمينه معناه ".

ولعله يرمى بقوله " أو حرف استعمل فى مكان حرف آخر فيقول النحوى بتضمينه معناه "إلى مذهب الكوفين الذين يرون جواز نيابة بعض الحروف عن بعض ٠

---

[1] الأصول / تمام حسان صـ١٦٥ – الطبعة الأولى الدار البيضاء (الشركة الجديدة- دار الثقافة)٠

ويقول الرضى [1] "اعلم أنَّه إذا أمكن فى كُلِّ حرف يتوهم خروجه عن أصله وكونه بمعنى كلمة أخرى ،أو زيادته أنْ يبقى على أصل معناه الموضوع هو له ، ويضمن فعله المعدى به معنى من المعانى يَسْتَقِيم بـــه الكـــلام فهـــو الأولى بل الواجب "فالرضى يقول بالتضمين عند خـــروج ا لحرف عن أصل معناه وهو عين مذهب البصريين الذين لا يجوزون نيابة بعض الحروف عن بعض ويحملون ماأوهم ظاهره ذلك إما على التضمين او الشذوذ .

ونظـــراً إلى هذا الاختلاف حول هذه الوسيلة التأويلية بين العلماء فإنَّ القـــول بالتضمين يستلزم إعاده النظر فى صحة الاستقراء التى بنيت عـــليه القواعـــد الـــتى تحكم استعمال الجرف وتَعَدِّى الفعل به والتى تـــرفض قبول التركيب على ظاهرة ، وهل كان هذا الاستقراء لطرق اســـتعمال حرفٍ ما أ و فِعْل ما فى سياقاته المحتلفة شاملاً؟ وهل هذا الاستقراء الذى بُنِيَتْ عليه القواعد- مبنى على حجية النصوص- فى زمن ما- أم على حجية أصحابها؟

لقـــد قيـــد الـــلغويون والنحويون الكلام المجتج به ببيئة مكانية معينة يُرَاعى فيها البعد عن مراكز الاختلاط بالأمم الأعجمية وبيئة زمانية محددة تمتد زهـــاء ثلاثـــة قرون تبتدىء بقرن و نصف قبل الاسلام و تنـــتهي بمنتصف القرن الثاني للهجرة يقول د/ على أبو المكارم[2]

[1] شرح الكافيه للرضى ق٢ج٢/١٢٣٠
[2] أصول التفكير النحوي صـ٤٠ .

"وأصبح كُلّ ما سجله الرواة واللغويون عقب هذه الفترة من نصوص لغويـــة منســـوبة إليها مقطوعاً بحجيته فى الدّراسة اللغوية، سواء في ذلك دراسة الأصوات والصيغَ أو، الأساليب والتراكيب أو الدلالات

نضـــيف إلى ذلك القرآن الكريم الذي أنزله الله عَزّ وجَلّ على رسوله "صـــلى الله عليه وسلم "إلى العرب بلغتهم ، والذي تحداهم بفصاحته الـــتي جاءت على السنن التي اعتادوا عليها من فنون القول وطرائق الكلام ٠

واعتـــبار هذين المصدرين واعتمادهما يستلزم قبول كـُـلّ ما جاء في القـــرآن الكـــريم واعـــتماده أصلا يُقَعّد عليه ، وما نتج عن المرحلة الزمـــنية المذكورة سابقاً بقيدها المكاني بغض الطرف عن كُلّ ما يمكـــن أن يُقـــال حول أخطاء أصحابها، أو عدم اطراد الفصاحة في تعبيراتهم لاستيفاء الشرطين اللذين اشترطهما اللغويون، و لأنّ محور الاحـــتجاج الزمن وليس القائل ٠ إنّ التضمين ليعد أحد أوجه التأويل الـــتي قال بها النحويون ـــ محاولين به – ردّ النص القرآنى إلى ما قعـــدوه من قواعد استنبطوها من كلام العرب المشتمل على خليط من مســـتويات لهجيـــة و أنـــواع أدبيـــة مختلفة يرون أنّها مشتملة على الأصـــول العامة لما يمكن أنْ يبنى عليه قواعد نحوية عامه و مطردة يُرَدّ إليها كُلّ تركيب يَندُّ عنها ، ولو كان ذلك كتاب الله عز وجل الذي

يتفقون على أنَّه الأعلى فصاحـــــة والأنقى من شوائب اللهجات و الضرورات بين هذا الكـــم اللغوى.

وكـــثيراً من الآراء التي نظرت في النصوص القرآنية التي قيل فيها بالتضمين تخلط بين النص القرآني كتركيب منزل والتفسير لهذا النص ، ويجعـــلون المقابل التفسيري للنص البدل للتركيب الأصلي ، عند التضمين فقال الدكتور /علي أبو المكارم مفصحاً عن ذلك [1] "يجعلون تفسير النص جزءاً لا يتجزأ من النص نفسه ، ويحتمون لذلك مراعاته فى تقنين القواعد وتطبيق أحكامها ".

وهـــو بعيد كُلّ البعد عن الحقيقة اللغوية ، فالتركيب لارتقائه يُرَاعى عـــدة أشـــياء أجَلّها وأهمها :الإيجاز واختيار الألفاظ وانتقاؤها لتؤدى دلالات معينة وللسمو بها إلى أعلى مراتب البلاغة ، بعيداً عن الألفاظ و الأســـاليب المـــتداولة والتي يستوي فيها التعبير عنها البليغ وغير البليغ .

والـــتأويل فى القـــرآن الكريم بطرائقه المختلفة . يَستَلْزِم أنْ يكون وضـــع القواعـــد سابقاً نزول هذا الكتاب المعجز، وأنّه لم يُرَاع عند تقعيد القواعد ، وقد جاءت بَعْضُ تراكيبه مخالفة لهذه القواعد ممّا دفعهم الى ردّها بوجه من وجوه التأويل ، وهو ما لم يحدث – في الواقـــع – لأن الـــنحو وقواعده إنما وضعا لخدمة هذا النص ووضع

---

(1) أصول التفكير النحوي صـ٣٠٢ .

قواعـــد ومعاييـــر لغوية تتفق وتراكيبه البلاغية ، صوناً لكل عربي من أن يخطئ لسانه في قراءة وفهم هذا النص ،ومن ثَمّ كان لِزامًا أنْ تــرد هذه القواعد إلى هذه التراكيب القرآنية لا أن يُرَدّ القرآن إلى هذه القواعد٠

وإليــك نمـــاذج مــن ظاهرة التضمين في القرآن الكريم نرى فيها اخـتـــلافهم فــي التأويل وجعلهم تفسير النص جزءاً لا يتجزأ من النص٠ .)

قوله تعالى " [1] الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة وممّا رزقناهم ينفقون" فالزمخــشري يرى أنَّ الفعــل " آمن" يتــعدى بنفسه لأن " الإيمـــان" إ فعال من الأمن يُقال أمنته وآمنته غيري ثُمّ يقال : آمـــنه إذا صـــدقه قال: [2] " وأما تعديته بالباء فلتضمنه معنى "أقَرّ" و" اعترف" وأمّا ما حكى أبو زيد عن العرب : ما آمنت أنْ أجد صاحبة أي :مـــا وثقـــت ، فحقيقته ذا أمن به أي ذا سكون وطمأنينة ، وكلا الوجهيـــن حســـن في "يؤمنون بالغيب " أي يعترفون به ويثقون بأنّه حق" وفي الحـــاشية علـــى الكشاف تصديق لما قاله الزمخشري قال [3]" الإيمـــان" : " إفعال " من الأمن يتعدى إلى مفعولٍ واحدٍ ، تقول: أمنته ، فإذا عُدِي بالهمزة يتعدى إلى مفعولين تقول :آمنته غيري ، ثم

---

(١) البقرة : ٣

(٢) الكشاف ٩٦/١ .

(٣) السابق ٩٦/١ ، ٩٧.

استعمل فيه التصديق فقيل : مجازاً لغوياً وإليه أشار بقولــه "وحقيقته" أي : حقيقــة "آمــن" بمعنى"صَدّقَ" يَعْنِى أنّ الإيمان حقيقته في جعل الشــخص آمناً ثُم أطلق على التصديق لاستلزامه إياه ، وقوله " وأما تعديــته " الإيمان بمعنى التصديق يتعدى بنفسه فإذا عُدّى بالباء كان لتضــمينه معــنى الاعــتراف والإقرار ، فإنّك إذا صدقت شيئاً فقد اعترفت به " .

وأبــو حيان يرى ما رآه الزمخشري بيد أنّه ينص صراحة على أنّ الفعل "آمن" يتعدى بالباء ، ومع ذلك يضمنه معنى اعترف فهو يجعل مفهوم الإيمان : التصديق " وما أنت بمؤمن لنا [1] وأصله من الأمن أو الأمانــة ومعــناهما : الطمأنيــنة ، أمنه صدقه .وأمن به : وثق به ، والهمزة من " أمن " للصيرورة أو للمطاوعة وضمن معنى الاعتراف أو الوثــــوق فعــدى بالباء ، وهو يتعدى بالباء واللام ، " فما آمن لموسى [2] " والتعــــدية باللام في ضمنها تَعَــدٍ بالباء [3]

والإمام القرطبي يِعْرِض للآية ويَنُصُّ ([4]) على أنّ التعدية من طبيعة الفعل ولا يرى فيها تضميناً يقول: " يؤمنون : يصدقون ، والإيمان فــي الــلغة التصديق.وفى التنزيل "وما أنت بِمُؤمن لنا "أي بمصدق

---

[1] يوسف :١٧.
[2] يونس : ٨٣
[3] البحر المحيط ٣٨/١ بتصرف .
[4] الجامع لأحكام القرآن ٧/١ .

ويتعدى بالباء واللام كما في قولـــه تعالى [1] "ولا تؤمنوا إلاّ لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ " وقوله تعالى [2] "فما آمن لموسى "

والفعـــل "يؤمنون " وُجِدَ متعديا بالباء فى خمس وأربعين آية كما وجد لازماً فى اثنتين و أربعين آية مستغنياً عن ذكر مفعولـــه لعدم الحاجة إليـــه، وكُلّ ما ورد بالباء يصح فيه معنى التصديق و معنى الإقرار أو الاعـــتراف، و كثير مِمّا جاء لازما يصح فيه ذلك كذلك ، وليس ثمة دليل على اعتبار المتعدى بالبـــاء مختلف عـــن المتعدى بنفسه ، لأن َمعنـــى المتعدى بنفسه هـــو عينه معنى المتعدى بالحرف ، لأنّ الإيمـــــان : التصديق ، و التصديق ليس إلاّ إقراراً و اعترافاً بشيء ما ، وإذا تم الإقرار والاعتراف بشيء فقد صُدِّقَ القائلُ بـــه.

٢ – قـــــال الله تعـــالى [3] "وإذا خلا بعضهم إلى بعض" قال أبـــو حيان[4] "أي : وإذا انفرد بعضهم ببعض أي الذين لم ينافقوا إلى من نـــافق و"إلى " قيـــل بمعنى "مع "أي :وإذا خلا بعضهم مع بعض ، والأولى أنْ يضمن "خلا "معنى فعلٍ يُعَدّى بـــ " إلى "أي :انضوى إلى بعض أو استكان أو ما أشبهه لأنّ تضمين الأفعال أولى من تضمين الحروف .

---

(1) آل عمران :٧٣
(2) يونس ٨٣ .
(3) البقرة : ٧٦ .
(4) البحر المحيط ٢٧٣/١ .

٣- قــال الله تعالى [١] : "وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنّا معكم إنّما نحــن مُستَهْزِئون " قـــال أبــو حيان ٢ :"يتعدى "خلا "بالباء و بــ "إلى" ، والباء أكثر استعمالاً ، وعدل إلى "إلى " لأنّها إذا عُدّيت بالباء احتملت معنيين أحدهما :الانفراد والثاني السخرية ، إذ يقال في اللغة . خــلوت به أي سخرت منه ، وإلى لا تحتمل إلا معنى واحد و" إلى "هــنا عــلى معــناها من انتهاء الغاية على معنى تضمين الفعل أي صرفوا خلاهم إلى شياطينهم ؛ قال الأخفش :خلوت إليه :جعلته غاية حاجتي ، وهذا شرح معنى .

قال الله تعالى " وَاْعبُدُوا الله وَلاَ تُشْرِكُوا به شَيَئا وبالْوالِدَيْن إحْسَاناً[٣]".

قــال الشيخ محمد رشيد رضا : يُقال [٤] " أَحْسنَ بِه ، وأحسن له ، وأحســن إليه ، وقيل : إذا تَعَدّى الإحسان بالباء يكون تضميناً لمعنى الــلطف ، وعــندي أنّ التعدية بالباء أبلغ لإشعارها بإلصاق الإحسان بمــن يوجّــه إليه من غيــر إشعاره بالفــرق بينه وبين المحسن ، و التعدية بــ" إلى " تشعر بطرفين متباعدين يصل الإحسان من أحدهما إلى الآخر "

---

(١) البقرة :١٤

(٢) البحر المحيط ٦٨/١ .

(٣) النساء :٣٦ .

(٤) تفسير المنار ٨٤/٥

فالإحسان فى الآية متضمن معنى البر بالوالدين بجميع معانى البر من حيث التوقير والإكرام والاحترام .[1]

" قال الله تعالى " سأل سائل بعذاب واقع " [2]

قيل إنّ الباء هنا بمعنى " عن" لما روى الجوهري[3] عن الأخفش أنّــه يُقَال :خرجنا نسأل عن فلانٍ وبفلان ، ومنه قوله تعالى " فاسئل به خبيرا [4] " أي عنه وذلك لأنّها أتت بعد السؤال [5] ".

وقيل : إن الفعل مضمن معنى " دعا" كأنّه قيل : دعا بعذاب واقع .

مــن قولك : دعا بكذا إذا استدعاه وطلبه ، ومنه قوله تعالى : يَدْعُون فِيهَا بِكُلّ فَاكِهَةٍ آمِنِين [(6)] " أو بتضمينه معنى اهتم واعتنى [(7)] " وإنما عُــدّى الســؤال بالــباء هاهــنا مبالغة في تحقيق وقوع العذاب على الكافرين ، وتأكيد لحوقه بهم وقربه منهم ، وفي هذا مفاداة على كمال غفلتهم وخفة عقولهم وغيبة إدّراكهم ، فَهُمْ لا يشعرون بمن حولهم ولا ينتبهون لخطر محدق بهم [8] .

---

(١) روح المعانى للألوسى ٢٨/٥ والتحرير والتنوير ٤٩/٥ .

(٢) المعارج : ١

(٣) الصحاح ١٧٢٣/٥ .

(٤) الفرقان :٥٩

(٥) التحرير والتنوير ١٥٥/٢٩ .

(٦) الدخان : ٥٥

(٧) الكشاف ١٥٦/٤ ، روح المعاني ٦٨/٢٩ ، تفسير أبي السعود ٢٩/٩ .

(٨) تأويل مشكل القرآن صـ٥٧٥ .

قـــال الله تعـــالى : " قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكائِكُمْ مَنْ يَهْدى إلى الحق قُل اللهُ يَهْدِى لِلْحَقّ (١)"

قـــال ابـــن القيـــم (٢) " الفعـــل " هدى" متى عُدّى بـــ" إلى " تضمن الإيصـــال إلى الغاية المطلوبة فأتى بحرف الغاية ، ومتى عُدِى باللام تضـــمن التخصـــيص بالشـــيء المطـــلوب ، فأتى باللام الدّالة على الاختصاص والتعيين ، فإذا قلت : هديته لكذا ، فهم معنى : ذكرته له وجعلـــته له وهيـــأتـــه ونحو هذا ، وإذا تعدى بنفسه ، تضمن المعنى الجـــامع لذلك كُله ، وهو التعريف والبيان والإلهـــام " وقـــد ذهـــب ابن قتيبـــة (٣) والبطليوسي (٤)ونقله ابن منظور (٥) عن قوم بأنّ "اللام" و"إلى" معناهما واحد تقول : هديته الحق ، وهديته إلى الحق ، هـــذا مـــن تداخـــل معـــاني الحرفين ، لما بين الحرفين من التداخل والتضارع فموضوعهما واحد.

ومـــا ذهب إليه ابن القيم هو الأولى فالفعل " هدى" له دلالته الخاصة في سياقاته المختلفـــة حين يتعدى باللام أو" بـــ "إلى" أو بِنَفْسِه ، فكل حرف يَخْلَعْ عليه معنى مغايراً للآخر.

---

(١) يونس : ٣٥

(٢)بدائع الفوائد ٢١/٢ .

(٣) تأويل مشكل القرآن صـ ٥٧٢ .

(٤) الاقتضاب ٢٨٦/٢ ، ٢٨٧ .

(٥) لسان العرب (هـ د ي)

قــال الله تعــالى: إذْ قَــالَ لأَبِيهِ وقَوْمِه ما هَذِه التَّمَاثِيلُ التي أنتم لها عَاكِفُونَ (١) ".

اختــلفت أقوال العلماء في هذه "اللام " فقيل إنَّها لام التعليل ، وقيل إنّهــا بمعنى على ،وقيل : ضمن الفعل معنى العبادة لدلالة ما بعدها " قَــالُوا وَجَدْنَا آباءَنَا لَهَا عابدين (٢) " وقيل : إنَّها للاختصاص (٣) وهــو الأولى، وإنَّمــا جيء باللام في الآية دون "على" التي عُدّى بها الفعل من موطن آخر كقوله تعالى وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا عــلى قَوْم يعكفون على أصنام لهم (٤) " للدلالة على أنَّ قوم إبراهيم لم يكتفوا بعبادته بل جعلوا أنفسهم لها خاصة يدافعون عنها ويزودون عن كرامتها وشرفها فأخلصوا أنفسهم لحرب من يعاديها ويسيء إليها ويــدل عــلى ذلــك أيضاً تعدية الفعل " عابدين " باللام وتقديم الجار والمجرور ، أمّا في آية الأعراف فالمراد وصف هؤلاء بانكبابهم على عبادتها ولزومها دون سائر المعاني الأخرى ومن ثَمّ عُدّى الفعل بــ" على "

قــــال الله تعـــالـــى " وَظَلَلْــنَا عَــلَيكُمْ الْغَمام وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ الْمنَّ والسَّلْوَى (٥) "

---

(١) الأنبياء : ٥٢

(٢) الأنبياء: ٥٢

(٣) انظر البحر المحيط : ٣٢٠/٦، روح المعاني ٥٩/١٧ .

(٤) الأعراف : ١٣٨ .

(٥) البقرة :٥٧

ذهـــب أبو حيا ن إلى أنّ " الغمام " مفعول به على إسقاط حرف الجر أي "بالغمـــام" كما تقول : ظللت على فلان بالرداء ، أو مفعول به لا عــلى إسقاط حرف الجر بل المعنى جعلناه عليكم ظللاً ، فعلى هذا الوجه الثاني يكون "فَعّل" فيه يجعل الشيء بمعنى ما صيغ منه كقولهم :عدّلت خالداً أي : جعلته عَدْلاً :فكذلك هذا أي : جعلنا الغمام عليكم ظـلة ، وعـلى الأول تكون فعّل فيه بمعنى "أفْعل "فيكون التضعيف أصـــله للتعدية ، ثُمّ ضمن معنى فعل يُعَدّى بـــ" على" وليس المعنى عــلى مـــا يقتضيه ظاهر اللفظ ، إذْ ظاهرة يقتضي أن الغمام ظلل علينا فيكون قد جعل على الغمام شئ يكون ظلة الغمام ،وليس كذلك بل المعنى والله أعلم ما ذكره المفسرون [1].

---

[1] البحر المحيط :٢١٣/١

شواهد على التضمين في القرآن الكريم

قال الله تعالى : "أُحلَ لَكُمُ لَيلَةَ الصِيامِ الرفث إلى نِسَائكم(١) "

قـــال ابن جني:(٢) " وأنت لا تقول رفثت إلى المرأة ، وإنّما تقول رفـــثت بها أو معها ، ولكنه لَمّا كان الرفث هنا في معنى الإفضاء ، وكنت تعدى "أفضيت" بـــ "إلـــى" كقولك : أفضيت إلى المرأة ، جئت بـــ"إلى" مع الرفث إيذاناً أنّه بـــمعناه ".

قال الله تعالى " واتبعـــوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان (٣) " .

قـــال أبو حيّان (٤) : " هذا من التضمين في الفعل ضمن " تتقـــول " فعديت بـــ " على" لأنَّ " تتقول" تُعَدّى بها قال تعالى " وَلَوْ تَقَوّل علينا"

قال الله تعالى " ولا تعزموا عُقدَةَ النكاح (٥) "

قـــال أبـــو حيّان (٦) " وانتصاب "عقدة" على المفعول به لتضمين " تعـــزموا" معـــنى ما يتعدى بنفسه ، فضمن معنى " تَنْوُوا " أو معنى " تصححوا ، أو معنى توجبوا أو معنى تباشروا ، أو معنى تَقْطعوا أي تبتوا"

---

(١) البقرة

(٢) الخصائص ٣٠٨/٢ ، الاشتباه والنظائر ١٠٢/١.

(٣) ألبقرة ١٠٢

(٤) البحر المحيط ٣٢٦/١.

(٥) البقرة ٢٣٥.

(٦) البحر المحيط ٢٣٠/٢ . والمغني ٦٨٥/٢.

قال تعالى : " والله يَعلَمُ المُفسِد مِن المُصلح (١) "

ضمن " يعلم " معنى ما يتعدى بـ" مِنْ " كأنَّ المعنى ـ والله أعلم ـ يميز بعلمه المفسد من المصلح (٢) " .

قال تعالى " وما يَفعُوا من شئ فلن يكفروه (٣) "

"كفر" يتعدى إلى واحدٍ يُقَال . كفر النعمة ، وهُنَا ضُمِّن معنى " حرم". أي : فلن تحرموا ثوابه (٤) .

قال تعالى : " وَلاَ تَعْدُ عَينَاكَ عَنْهُمْ (٥) "

قـال أبـو حيان (٦) " أي : لا تصرف عيناك النظر عنهم إلى أبناء الدنيا و "عدا " متعد تقول : "عدا فلان طوره ، وجاء القوم عدا زيداً، فـلذلك قدرنـا المفعول محذوفاً ليبقى الفعل على أصلِه من التعدية ، وقال الزمخشرى إنّما عُدّى بـ "عَنْ لتضمين" عَدَ " معنى " نبا ، وعلا " فى قولك نبت عنه عينه ، وعلت عنه عينه إذا اقتحمته ولم تعلق به ، فإن قُلْت أي غرض فى هذا التضمين،وهَلا قيل ، و لا تعْدهم عيناك ، أولا تعـد عيـناك عـنهم ، قُلْت : الغرض منه : إعطاء مجموع

(١) البقرة : ٢٢٠
(٢) البحر المحيط :١٦٢/٢.
(٣) آل عمران : ١١٥
(٤) المغني ٦٨٥/٢ ، والبحر المحيط ٣٦/٣ .
(٥) الكهف : ٢٨
(٦) البحر المحيط ١١٩/٦ .

معـــنيين، وذلـــك أقـــوى من إعطاء معنى فذ ، ألا ترى كيف رجع المعنــــــى إلى قولك : ولا تقتحمهم عيناك مجاوزين لك إلى غيرهم "

الحامل على التضمين :

بتتبعنا للتراكيب التى قيل في بعض ألفاظها بالتضمين وجدنا أنَّ الحامل عليه والدافع إليه ـ عند القائلين به ـ هو أنَّ بعض الحروف فى بعض التراكيب لا تنسجم مع الفعل الذي تقع فى سياقه أو تتعلق بـه ، ولا ينسجم الحرف مع ظاهر الفعل ودلالته ، وتصبح الدلالة المباشرة للفعل غير متفردة أو غير متعينة لأمورٍ منها

١- استعمال حرف جَرّ مع الفعل وهو أصلاً لا يفتقر إلى حرف جَرّ كما فى قوله جَلّ شأنه (١) " فليحذر الذين يخالفون عن أمره " وليس بخاف أن الفعل "يخلف " مُتَعَدّ بنفسه ، وقَدْ عُدّى هاهنا بحرف الجر " عن " و قوله عَزّ وجَلّ (٢) : لا يسمعون إلى الملأ الأعلى . ونقول فى الصلاة "سمع اللهُ لِمَنْ حمده،فُعدى الفعل فى الآية بـ " الى" وفى قوله تعالى (٣)" يَوْمَ يَسْمَعون الصيحة" وقال الشاعر:

حملت به فى ليلة مزءودة ∴ كَرْها،وعقد نطاقها لم يُحَلّل (٤)

---

(١) النور ٦٣ .
(٢) الصافات : ٨
(٣) ق ٤٢
(٤) قائله أبو كبير الهذلي ، والبيت من الكامل وانظر : مجالس ثعلب ص ٢٦٥ ،المغني ٦٨٦/٢ شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص٨٧ .والهذليين ٩٢/٢ .

فـــالفعل"حمل"مُتَعَدّ بنفسه،وقَدْ عَدّاه الشاعر هاهنا بالباء ، ومن عديته بنفسه قوله تعالى "حملته أمُّه كُرْها"

٢-أو جاء الفعل مجرداً من حرف الجر وهو أصلاً ممّا يفتقر إليه كما فى قوله جلّ شأنه [1] "ولا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ" فعُدّى الفعل " عــزم " فى الآية بنفسه وهو ممّا يتعدى ب"على" تقول : عزمت على الأمر ،واعتزمت عليه ،وعزمت عليك لما فعلت كذا،بمعنى: أقســمت وقـــال الله عَـــزّ وجـــل [2] "ومـــا يَفْعَلُوا من خَيْرٍ فَلَنْ يكفروه"فالأصل فى الفعل "كفر " أن يُعَدّى ب"الباء" كقوله تعالى [3] "إنَّهُـــم كفـــروا بالله ورسوله "، بيد أنه هاهنا تعدى إلى اثنين : الأول ضمير واو الجماعة (نائب الفاعل) وضمير الغيبه " الهاء "

٣- أو لأنّ الفعـــل يتعدى بحرف جَرّ بعد استيفاء معمولاته كما فى قـــول الله عزّ وجلّ [4] " و لا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم "فالفعل "أكل" يتعدى إلى مفعول واحد وقد استوفاه و هـــو فى الآية " أموالهم " بيد أنــــة عُدّى بعد استيفاء معموله بـــ " إلى " وقولــــه عـــز وجل [5] " والله يعـــلم المفســـد من المصلـــــح "فالفعل "يعلم "قد استوفى معموله (المفسد) بيد أنّه عُدّى بعد ذلك بـــ "مـــن " ٠

---

(١) البقرة : ٢٣٥٠

(٢) آل عمران :١١٥

(٣) التوبة :٨٤

(٤) النساء :٢

(٥) البقرة :٢٢٠

٤- أو يـــرد الفعـــل متعدياً بحرف غير الحرف الذى يُعَدّى به فى الأصل ، مما يوقع لبسًا بين معنى الفعل ومعنى حرف الجر لو أخذنا الكلام بمدلوله المباشر لهما كقوله تعالى "أُحِلَّ لَكُمْ لَيلَة الصيام الرَّفَثُ إلى نِسَائِكُمّ "فالفعل " رفث " يتعدى بالباء ، وإن كان فى الآية قد عُدَّى "الـــرفث "بـــ "إلى "وكما فى قولـــه تعالى "ولا تَعْدُ عيناك عنهـــم . فالفعـــل "عدا "يُعَدّى بـــ "على "وقَد عُدّى فى الآية بـــ "عن ".

وأمـــام هذه النصوص التى خالف ظاهرها قواعد النحويين لم يجدوا بُدّاً من حملها على التضمين فراحوا يقولون .الفعل "يخالف "فى قوله تعالى "الذين يخالفون عن أمره "ضمن معنى يخرج ويعرض ،والفعل "لايســـمعون "فى قولـــنـــا : ســـمع الله لمـــن حمـــده "ضمن معنى استجـــــاب ، والفعل "حمل "فى قول الشاعر:

حملت به فى ليلة مزءودة . . . . .البيت

ضمن مَعْنَى " علقت به .

(والفعل "عزم " فى قوله " ولا تعزموا عقدة النكاح " ضمن معنى لا تنووا)

والفعل "كفر "فى قولــــه تعالى "وما يفعلوا من خير فلن يكفروه "ضمن معنى . لن تحرموه .

• والفعل " يعلم " فى قوله تعالى "والله يعلم المفسد من المصلح "ضمن معنى" يميز •

والفعل "رفث "فى قوله تعالى " أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم)

ضمن الرفث معنى الإفضاء قال ابن جنى [١] (وأنت لا تقول : رفثت إلى المرأة ، وإنّما تقول رفثت بها ، أو معها ، لكنه لمّا كان الرفث هنا فى معنى الإفضاء وكنت تَعَدّى . أفضيت . بـ " إلى " كقولك أفضيت إلى المرأة ، جئت بـ " إلى " مع الرفث ، إيذاناً وإشعاراً أنّه بمعناه •••)

والمعنى فى قوله تعالى " ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم " أى : ولا تضموها إليها آكلين لها [٢] "

(وهؤلاء إن لم يمكنهم حمل الفعل على التضمين أوّلوه تأويلاً يقبله اللفظ قال ابن هشام [٣] "كما قيل في (ولأصلبنكم فِي جُذُعِ النخل [٤] ": إنّ "فى "ليست بمعنى "على "، ولكن شبه المصلوب لتمكنه من الجذع بالحال فى الشيء).

وقال ابن جنى فى قول عنتره :

---

(١) الخصائص ٣٠٨/٢
(٢) الكشاف ٤٨١/٢
(٣) المغني ١١١/١
(٤) طه :٧١

بَطَلٌ كَأَنَّ ثِيَابهُ فِى سَرْحةٍ ∴ يُحْذَى نعَالَ السَّبْتِ لَيْس بتوأمِ (١)

"أي على سَرْحة ، وجاز ذلك من حيث كان معلوماً أنَّ ثيابه لا تكون فى داخل سَرْحه ، لأنَّ ا لسَّرْحَة لا تتشق فتستوع الثياب و لا غيْرها ، وهى بحالهـا سـرحة فهذا من طريق المعنى بمنزلة كون الفعلين أحدهما فى معنى صاحبه ومثل قوله (٢)" كأنّ ثيابه فى سرْحة " قول امرأة من العرب :

هُمْ صَلَبُوا الْعَبْدىَّ فى جِذْع نَخْلَة ∴ فلا عَطَستْ شيبانُ إلاّ بأجْدعا (٣)

لأنه معلوم أنّه لا يصلب فى داخل جذع النخلة وقلبها ، وإمّا قوله :

وهَلْ يعمَنْ من كان أحْدَثَ عهدْهَ ∴ ثلاثينَ شَهْراً فى ثلاثة أحْوَال (٤)

فقالوا : أراد:مع ثلاثة أحوال ، وطريقه عندي أنّه على حذف مضاف ، يريد : ثلاثين شهراً في عقب ثلاثة أحوالٍ قبلها ، وتفسيره بعد ثلاثة أحـوال ٠ فالحرف إذاً على بابه ، وإنّما هنا حَذْف المضاف الذي قد شاع عند الخاصّ والعام "

---

(١) البيت من بحر الكامل ، الخصائص ٣١٢/٢ ، المنصف ١٧/٣، شرح المفصل ٢١/٨، الجزانة ١٤٥/٤ ، المغني ١٦٩/١ .

(٢) الخصائص ٣١٢/٢٠

(٣)والبيت من الطويل . الكامل للمبرد ٢٤٤/٦ ، والمقتضب ٣١٩/٢ ، والمغني ١٦٨/١ والأمالي الشجرية ٢٦٧/٢٠

(٤) قائله امرؤ القيس والبيت من بحـر الطويل : المغني ١٦٩/١ ، والهمع ٣٠/٢ والأشموني ٢١٩/٢ ، وديوانه ٢٧ .

ممّـــا لا ريب فيه أنّ ديوان العرب ، وكان يمثل عندهم أسمى أنواع الجنس الأدبى تتنافس القبائل به فى مجال الفصاحة والبيان ، فالشعراء المـــبرزون يـــتخيرون أجـــود الأســـاليب ، و أفصح الألفاظ و أصح الـــتراكيب بغية الصدارة وعلو المكانة للشعراء أنفسهم وللقبيلة التى كانوا ينتمون إليها .

ولعـــل مبعث اهتمام العرب لما يشمل عليه من نعمة موسيقية عذبة ، ممّـــا يجعـــل حفظـــه وروايته سهلاً ميسورا ، فالشعراء فيه يتبارون ويتنافســـون حـــتى أصبح لكل قبيلة شعراؤها ، الذين يدافعون عنها ، ويعددون مآثرها ومفاخرها ، ويسجلون أفراحها وأتراحها ٠

والشـــعر فـــن كغيره من الفنون يخضع لقواعد معينة تضبط طريقة صياغته وتنسق مفرداته وأبياته بعضها ، ويُعَدّ الخروج عنها قصورا في النبوغ الشعري وتقليلا فيه ، وقدحا في إمكانات الشاعر التعبيرية بيد أن هذه القواعد كانت مكتسبة لديهـــم بالحس اللغوي الذي يتمتعون بـــه ، يـــتوارثها اللاحـــق عن السابق من خلال الإطار الشعري أو المحاكـــاة ، ولم تعرف تلك الضوابط و القواعد التي تنظم نظم الشعر وفـــق القواعـــد العلمية المضبوطة و القوانين العلمية المحددة إلا في القرن الثاني الهجري على يد الخليل بن أحمد الفراهيدي .

وظــلت الحفاوة به وانكباب الناس عليه إلى أن انتشر الإسلام ونزل القــرآن بأحكامـــه وتعاليمـــه وبيانه المعجز فعني المسلمون والعرب بدراسة القرآن وتفسيره لأنه العمدة في تعريفهم عقيدتهم وتنظيم أمور معيشتهم ومعاشهم وعلاقتهم ببعضهم فانصرفوا عن الشعر به ولم يكن يــلجؤون إليه إلا إذا أعوزتهم الحاجة لتوضيح معاني بعض الكلمات التي أشكلت عليهم في القرآن الكريم .

ولمـــا اطمأنوا إلى توثيق عملهم في القرآن الكريم ، وما نتج عنه من وضع لأسس علم النحو ــ رجعوا إلى الشعرــ بعد أن هلك الكثير من رواتـــه وضـــاع أكثره نتيجة للحروب الدينية والسياسية فدون ما تم الوصـــول إليه عن طريق ما بقى من الرواة ، أو الشعراء الذين بقوا أحياء معاصرين لعصر الإحتجاج أو المداونات ليشكل رافدا مهما من روافد البحث اللغوي والنحوي عندهم

ويجمع كل اللغويون والنحويين قديمهم وحديثهم بأن الشعر الواقع في الفــترة الزمنية والتي تمثل مائة وخمسون سنة قبل الإسلام ممتدة إلى منتصــف القرن الثاني الهجري سليمة تراكيبها فصيحة ألفاظها بما لا يقدح فيها قادح ، والمفترض من الناحية ــ النظرية ــ أن تكون متفقة مـــع القواعد النحوية التي تحكم الاستعمالات الفصيحة باعتبار أن هذه الفــترة تمــثل مرحلة النقاء اللغوي ، بيد أن النحاة لما قعدوا القواعد ووضعوا الضوابط وجدوا أن بعض الشعر جاء مخالفا للقواعد التي وضعوها ، ومن ثم تعرض الشعر للتأويل ردا له إلى ما قعدوه ، مع

أنـــه أســـبق من وضع القواعد وجدوا أن بعض الشعر ردا له إلى ما قعـــدوه ، مع أنه أسبق من وضع القواعد وجودا واستعمالا مما يجعل الشـــعر الجاهـــلي وفـــي صدر الإسلام (حتى منتصف القرن الثاني الهجري) أصلا لهذه القواعد التي قعدوها والضوابط التي وضعوها ، فمن المفترض أن ترد هي إليه وتحمل هي عليه وتراعي استخداماته ، لا أن يـــرد هو إليها ويحمل هو عليها ، وترفض بعض استعمالاته على ظاهرها .

وكـــان مـــن مظاهر هذا التأويل : الحمل على النظير ، والحمل على النقيض والتضمين ، وغيرها من الأوجه التي ترد فرعا إلى أُصل

وفـــي المبحث القادم نعرض لنماذج من الشعر المحتج به والتي جاء ظاهرها مخالفا لقواعد النحاة وحملوها على التضمين

التناوب بين حروف الجـــــرّ

إذا كُــنَّا نُسَلِّمُ بالتضمين فى الفعل ، فهل يكون فى الحرف تضمين ، وهــذا الأخير شغل فكر العلماء الذين عُنُوا بالدراسات النحوية قديماً وحديثاً .

فالبصريون يَرَون أنَّ حروف الجر لا ينوب بعضها عن بعض قياساً ، فَكُلّ منها يستقل بمعناه ، كما تستقل حروف الجزم ، وحروف النصب ، ولا تنوب حروف الجزم عن بعض ،وكذا حروف النصب ، ويرون فى الأمـــاكن التى ادعت فيها النيابة أنّ الحرف باقٍ على معناه ، وأنَّ العـــامل ضمن معنى عامل يتعدى بذلك الحرف لأنّ التجوز فى الفعل أسهل منه فى الحرف .

فـــلكل حـــرف عندهم مَعْنًى واحدٌ أصلى يؤدّيه على سبيل الحقيقة لا المجاز .

فـــــ " عـــلى " معـــناه الحقيقى الاستعلاء ، و " من " معناة الحقيقى الابتداء، و" فى " معناه الحقيقى الظرفية وهلم جراً ، فإنْ أدّى الحرف معنى آخر غير معناه الأصلى الخاص به فتأديته لهذا المعنى الجديد ، إمّا تأدية مجازية ، وإمَّا تأدية تضمينية (أى بتضمين الفعل أو العامل الـــذى يتعلق به حرف الجرّ الأصلى و مجروره معنى فعل أو عامل آخر يتعدى بهذا الحرف).

أمَّا الكوفيون فيرون جَواز نيابة بعض حروف الجر عن بعضها قياساً ، قائلين بالتجوز فى استعمال حروف الجر فى مثل هذه الاستعمالات ، فالمدار عندهم الحرف والتجوز يقع فيه ، وحملوا حروف الجر فى مثل هذه الأساليب على معانى حروف أُخرى تنسجم مع الأفعال التى وقعت فى سياقها ، قال ابن هشام مفصحاً عن المذهبين:(١) " مذهب البصريين أنَّ حروف الجر لا ينوب بعضها عن بعض بقياس كما أنَّ أحـــرف الجزم وأحرف النصب كذلك ، وما أوهم ذلك فهو عندهم إمّا مؤول تأويلاً يقبله اللفظ كما قيل فى (٢)" وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ النَّخْلِ إنَّ "فى " ليســت بمعنى "على " ولكن شبه المطلوب لتمكنه من الجذع بالحـــالِ فى الشيء ، وإمّا على تضمين الفعل معنى فِعْلٍ يتعدى بذلك الحرف كما ضمن بعضهم " شربن " فى قوله :

* شـــربن بِمَاءِ الْبَحرْ . . . *(٣)

معـــنى :" رَوين " و " أحسن " فى "وَقَدْ أَحْسَنَ بِى " مَعْنَى "لطف"، وإمًا على شذوذ إنابة كلمة عن أخرى ، وهذا الأخير هو محمل الباب

---

(١) المغنى ١١١/١ .

(٢) طه :٧١.

(٣) هذا جزء بيت من بحر الطويل لأبى ذؤيب الهذلى ، والبيت بتمامه
* شربن بِمَاءِ البَحر . . .متى لجج خُضر لهُنَّ نئيجُ *

كلـــه عـــند أكثر الكوفيين وبعض المتأخرين ، ولا يجعلون ذلك شاذاً ومذهبهم أقل تعسفاً "

وكـــان المبرد يرى رأيهم ويقول بقولهم قال[١] "كما تدخل الإضافة بَعْضُها على بعض . فمن ذلك قوله عَزّ وجَلّ[٢] "يَحْفظونه من أمر الله "أى : بأمـــر الله . وقال :[٣] "ولأصلبنكم فى جنوع النخل "أي : على . وقال : "أَمْ لَهُم سُلّم يَسْتَمِعُون

فيه "أي : يستمتعون عليه .وقال الشاعر :

هُمْ صَلَبُوا الْعَبدِى فى جذع نخلة ∴ فَلاَعَطَسَتْ شـــيْبَانُ إلاّ بِأجْدَعَا[٤]

وقال الآخر :

وَإِذَا رَضِيتَ عَلَى بَنُو قشير ∴ لَعَمْرُ اللهِ أَعْجَبَنى رِضَاها[٥]

أى : عنى .

---

(١) المقتضب ٣١٩/٢ ، ٣٢٠

(٢) الرعد ١١

(٣) طه ٧١

(٤) قائله سويد بن أبى كاهل ، والبيت من الطويل : المقتضب ٣١٩/٢ ، والكامل ص ٤٨٨ ، والخصـــائص ٣١٣/٢منســـوباً إلى امـــرأة مـــن العـــرب ، والأمـــالى الشجرية ٢٦٧/٢ ، والمغنى ١٦٨/١ ، واللسان (عبد)

(٥) قائلـــه القحيـــف العقـــلى والـــبيت مـــن الوافـــر : الـــنوادر لأبى زيـــد ١٣٣/٢ ، الخصـــائص ٣١١/٢ ، المحتسب ٥٢/١ ، الانصاف ٦٣٠/٢ ، وابن بعيش ١٢٠/١ وأوضح المسالك ٤١/٣ . والتصريح ١٤/٢ . والأشمونى ٢٢٢/٢

وقـــال ابــن جــنى [١] " باب في استعمـــال الحروف بعضهـــا مكـــان بعــض ، هـــذا باب يتلقاه الناس ، مغسولاً ساذجــاً من الصنعة ومـــا أبعد الصواب عنه وأوقفه دونه وذلك أنَّهُمْ يقولون : إنّ (إلى) تكـــون بمعنى " مع " ويحتجون لذلك بقـــول الله سبحانه " من أنصـــاري إلى الله " أي مـــع الله ويقولون : إنّ (في) تكـــون بمعنى "على" ويحتجون بقولهم :رميت بالقوس أي عنها وعليها ، كقوله :

أَرْمِي عَلَيْها وَهيَ فَرْعٌ أَجْمَعُ [٢]

وغير ذلك ممّا يوردونه ولسنا ندفع أن يكون ذلك كما قالوا لكنا نقول إنّـــه يكـــون بمعـــناه في موضع دون موضع ، على حسب الأحوال الدّاعية إليه ، والمسوغة له ، وأمّا في كُلّ موضع وعلى كُلّ حالٍ فلا ، ألا تـــرى أنك إن أخذت بظاهر هذا القول غفلاً هكذا لا مقيداً لزمك عـــليه أن تقول : سرت إلى زيد وأنت تريد : معه ، وأن تقول : زيد في الفرس ، وأنت تريد : عليه ، وزيد في عمرو ، وأنت تريد : عليه فـــي العداوة ، وأن تقول : رويت الحديث بزيد ، وأنت تريد : عنه ونحو ذلك ، مما يطول ويتفاحش .....".

---

[١] الخصائص ٣٠٦/٢، ٣٠٧

[٢] قائله حميد الأرقط والبيت من الرجز : المخصص ٣٨/٦ شـــرح الجواليقى لأدب الكتاب صـ ٣٥٣ ، والكتاب ٢٢٦/٤ ، والتصـــريح ٢٨٦/٢ ، اللســـان (رمى - فرع)

فـــابن جـــني يُصرح بأنَّ مـــن يتلقى هـــذا الباب على ظاهره يكون عارياً عن الدقة غير مُتْقن للصنعة بعيداً عن الصواب واقفاً دونه .

فـــابن جـــنى لـــم يسلم بقول هؤلاء :على إطلاقه لأنَّ قولهم لا يمكن تطبيقه على جميع النصوص كما أنَّ تطبيقه على ما يمكن منها يفوت كـــثيراً مـــن الشـــارات الجميـــلة والقيـــم البلاغية الرفيعة والمعاني والمدلـــولات الـــبديعة اللطيفة ، ولـــم يقف عند حَدّ عدم التسليم بهذا القول بل راح يضع رسماً يعمل عليه ويكـــون قاعدة للباب يُرجع إليه فقال : (١)

" اعـــلم أنَّ الفعـــل إذا كـــان بمعنى فِعْل آخر ، وكان أحدهما يتعدى بحـــرف والآخر بآخر فإنَّ العرب قد تتسع فتوقع أحد الحرفين موقع صاحبه إيذاناً بأنَّ هذا الفعل في معنى ذلك الآخر ، فلذلك جيء معه بالحرف المعتاد مع ما هو في معناه ، وذلك كقول الله عَزّ اسمه : " **أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ** " وأنت لا تقول . رفثت إلى المرأة ؛ وإنّما تقول : رفثت بها أو معها ؛ لكنه لمّا كان الرفث هنا فى معنى الإفضاء، وكنت تعدى " أفضيت " بـــ " إلى" كقـــولك ، أفضيت إلى المـــرأة ، جئت بـــ" إلى" مع الرفث إيذاناً وإشعاراً أنَّه بمعناه " . وكذلـــك قول الله تعالى " من أنصاري إلى الله " أي مع الله وأنت لا تقول : سرت إلى زيد أي معه لكنه إنما جاء " من أنصاري إلى الله " لمـــا كان معناه من ينضاف في نصرتي إلى الله ، فجاز لذلك أنْ تأتي

---

(١) الخصائص ٣٠٨/٢

هنا إلى.......ومِمّا جاء من الحروف في موضع غيره على نحو مِمّا ذكرنا قوله :

وَإِذَا رَضِيتَ عَلَى بَنُو قشير ∴ لَعَمْرُ اللهِ أَعْجَبَنِى رِضَاها

أراد : عنى ، ووجهه : أنّها إذا رضيت عنه أحبته وأقبلت عليه فلذلك استعمال "على" بمعنى " عن ، وكان أبو عَلَى يستحسن قول الكسائى فى هـــذا ، لأنَّه قال : لمّا كان "رضيت " ضد "سخطت "عُدّى رضيت بعلى حملاً للشيء على نقيضه كما يحمل على نظيرة٠٠٠٠"

فـــابن جـــنى لا يرضى القول بجواز نيابة حروف الجر بعضها عن بعـــض ، ومـــا جاء ظاهره كذلك فهو يُؤوله تأويلاً يقبله اللفظ ، وإمّا يحملـــه عـــلى التضـــمين ، وهذا لعمرى قول سديد إذ التسليم بقول الكوفيين على اطلاقـــه غير ممكن تطبيقه على جميع النصوص كمـــا أنَّ تطبيقه على مـــا يمكن منها يُفَوِّت كثيراً مـــن المعانى والدلالات"

وإن كُـــنَّا لا نستطيع ردّ الإنابة في بعض المواضع فلا نستطيع الحكم باطـــرادها فى كُـــلّ موضـــع وإنَّما يترك الأمر فيها إلى السماع ، لا القيـــاس ، وما لا يمكن الحكم فيه بالإنابة أُول تأويلا يقبله اللفظ ٠ أو حُمِلَ على التضمين أو الإضمار أو شذوذ الإنابة ، قال المرادي "[1]

٠٠وما تقدم من نيابة الباء عن غيرها من حروف الجر هو جارٍ على

---

[1] الجني الدّانى صـ ٤٦

مذهب الكوفيين ، ومَنْ وافقهم ٠ في أنّ حروف الجر قد ينوب بعضها عن بعض ٠(ومذهب البصريين إبقاء الحرف على موضوعه الأول ، إمّـــا بتأويل يقبله اللفظ ، أو تضمين الفعل معنى فِعْلٍ آخر ، يَتَعَدّى بذلـــك الحـــرف ، ومــــالا يمكن فيه ذلك فهو من وضع أحد الحرفين موضع الآخر على سبيل الشذوذ "

وإليـــك الحديث مفصلا عن الحروف التي قيل فيها بالتناوب وحملها البصـــريون إمّـــا على التضمين أو على تأويل يقبله اللفظ أو على شذوذ النيابة ٠

(فـــي)

قــال المرادى : ومذهب سيبويه ،و المحققين من أهل البصرة ، أنّ " فى "لاتكــون إلاّ لــلظرفية حقيقة أو مجازاً وما أوهم خلاف ذلك رُدّ بالتأويل إليه" أمّا الكوفيون فيرون جواز نيابه بعض حروف الجر عن بعض ومن ثم جَوّزوا ورود " فى " بمعنى جروف آخر وهى :

١- **وردت " فى " بمعــنى " عــلى "** كقولــــه تعــالى : "ولأصــلبنكم فى جذوع النخل "[١] أى على جذوع النخل ، وقال الشاعر :

هُمْ صَلَبُو الْعَبْدِىّ فِي جِذْعَ نَخْلَةِ ∴ فَلاَ عَطَسَتْ شَيْبَانُ إلاّ بِأجْدَعَ[٢]

أي : صلبوه على جذع نخلة ، وقال الآخر :

بَطَلٌ كَأَنَّ ثِيَابَهُ فِي سَرْحةٍ ∴ يُحْذَى نِعالَ السِّبْتِ لَيْسَ بِتَوأمِ[٣]

أي : على سرحةٍ.

٢- **وردت بمعـــنى مع** كقولـــه تعالى[١] " ادخلوا في أُمَم" أي مع أُمَم قـــال ابن هشام " وقيل التقدير : ادخلوا في جملة أمم

---

[١] طه : ٧١

[٢] أنظر صـ٤٦

[٣] أنظر صـ ٤٥

، فحــذف المضـــاف ، وهــذا أحــد وجوه التأويل التي تدفع القـــول بالإنابة ، وقـــال الله عَزّ وجَــلّ [2]: فادخلي في عبادي وادخلي جنتي " أي مع عبادي ، ولو حمل الكلام على الــتقدير لكان وجهاً أي ادخلي في زمرة عبادي ، ويقال فلان عاقل في حلم رأى مع حلم ، وقال الْجَعْدِي :

وَلَوْحُ ذِرَاعَين في بِركةٍ ∴ إلى جُؤجُؤ رَهْلِ المنكبِ [3]

أي مع بركة ، وقال الآخر :

أَوْ طَعْمُ غَادِيةٍ في جَوْفِ ذي حَدَبٍ ∴ مِنْ ساكنِ الْمُزْنِ يَجْرِى في الْغَرَانيقِ [4]

أي : مع الغرانيق ، وهي طير الماء .

٣- ترد "في " بمعنى "مِنْ" كقوله عَزّ اسمه [5] " وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمةٍ شَهِيدًا " أي :من كلّ أمة وكقول الشاعر :

---

[1] الأعراف : ٣٨

[2] الفجر ٢٩ ، ٣٠

[3] والبيت من بحر واللوح :كُلُّ عظيم عريض ، والبركة - بكسر الباء - الصدر فإن حُذِفت التاء فتحت البـــاء ، والجؤجُؤ : الصـــدر ، والـرهل : المسترخى وانظر : أدب الكاتب لابن قتيبة صـ ٤١٢ ، والأزهية للهروى صـ ٢٦٨ ، ٢٦٩

[4] قائله عنترة العبسى ، وقيل : هو خراشة بن عمرو العبسى ، والبيت من البسيط ، أدب الكاتب صـ ٤١٣ ، ورصف المبانى للمالقى صـ ٤٥٣

[5] النحل : ٨٤

وهل يَعِمَنْ من كان أحدث عَهْدَه ∴ ثلاثين شهراً في ثلاثة أحوال[1]

قال ابن هشام :[2] " **وقـــال ابن جني : التقدير في عقب ثلاثة** أحوال ، ولا دليل على هذا المضاف ، وهذا نظير إجازته " جلســـت زيداً " بتقدير "جلوس زيد" مع احتماله لأنْ يكون أصله إلى زيد ، وقيل الأحوال جمع حالٍ لا حول ، أي ثلاث حالات : نزول المطر ، وتعاقب الرياح ، ومرور الدهور ،وقيل أن أحدث عهده خمس سنين ونصف : ففي بمعنى مع "

٤- **أن ترد "في" بمعنى " إلى"** كقولـــه جَلّ شأنه :[3] " فَرَدُّوا أيديهـــم فـــي أفواههـــم " أي : إلى أفواههم كما في قولـــه[4]" إنّا رادُّوه إليك " وتقول رددت يدي في فمي" أي إلى فمي ، وعندي أنَّهم إذا رَدُّوا أيديهم إلى أفواهم فقد أدخلوها فيها .

٥-**ترد في بمعنى "الباء" كقول الشاعر :**

---

(1) انظر صـ ٤٦ .

(2) المغنى ١٦٩/١ ، وانظر الخصائص ٣١٤/٢

(3) إبراهيم : ٩

(4) القصص : ٦

وَيركبُ يَوْمَ الرّوع مِنَّا فَوَارسُ ∴ بَصِيرُونَ في طَعْنِ الأَبَاهِرِ والْكُلَى(١)

أي : بصيرون بطعن ، لأنَّ "بصيراً " يتعدى بالباء .

---

(١) قائله : زيد الخيل ، والبيت من بحر الطويل ، الكتاب ٥٦/١ ،والجنى الدالى صـ ٢٥١ ، والأمالى الشجرية ٢٦٨/٢ ، والخزانة ١٤٨/٤ ، والمغنى ١٦٩/١ ، وأوضح المسالك ٣٩/٣ . والتصريح ١٤/٢ ، والهمع ٣٠/٢ ، والأشمونى ٢١٩/٢

إلـــى

حرف جَرّ معناه انتهاء الغاية في الزمان كقولـه عَزّ وَجلّ "ثُـم **أَتِمُّوا الصِّـيام إلى الـلَّيْلِ** " وفـي المكان كقولـه عَزّ اسمه (**مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَـرَامِ إلى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى**) وهو أصل معانيها ،(١) وفي دخول مـا بَعْدَهـا فـي حكم ما قبلها خلاف فقيل يدخل إن كان من جنس الأول ، وإلاّ فـلا وهذا الخلاف مبنى على عدم وجود القرينة ، وإذا دلـت القرينة على دخول ما بَعْدَها نحو " قرأت القرآن مِن أوله إلى آخره ، أو خروجه نحو " ثم أتموا الصيام إلى الليل " ونحو : " نظرة إلى ميسـرة "عمـل بها والصحيح ألاّ يدخل ، وإذا كان الأكثر عدم الدخـول مـع القرينة فالأولى أنْ يُحْمَل عند عدمها على الأكثر، قال المـرادي (٢) وأيضاً فإنّ الشيء الذي لا ينتهي ما بقى منه شئ إلا أن يـتجوز فيجعل القريب الانتهاء انتهاء ، ولا يحمـل على المجاز مـا أمكنت الحقيقة ، فهو إذاً غير داخل "

وقـد ذهـب جماعة من النجاة إلى أنَّ الحرف " إلى " قد يخرج عن معناه مراداً به معاني حروف أخر وهاك هى

---

(١) الجنى الدّانى صـ ٣٨٥ والمغنى ٧٤/١ وأوضح المسالك ٤٧/٣ ، والمقرب صـ ٢١٨

(٢) الجنى الدّانى صـ ٣٨٥

١- أن يكون بمعنى "مع " قال ابن هشام [١] " وبه قال الكوفيون وجماعة من البصريين في " مَنْ أنصاري إلى الله [٢] " وقولهم : الذود إلى الذود إبل "

يقال : إنّ فلاناً ظريف عاقل إلى حَسَبٍ ثاقب "أي : مع حسب ،وقال ابن مُفَرّغ :

شَدَخَتْ غُرّةُ السَّوَابِقِ مِنْهُمْ ∴ في وجوه إلى اللِّمَامِ الْجِعَادِ [٣]

أي : مع اللمَامِ ، وقال ذو الرمة :

بها كُلُّ خَوَّارٍ إلى كُلِّ صَعْلَةٍ ∴ ضهولٌ ورَفْضُ الْمُذْرِعَاتِ الْقَرَاهِبِ [٤]

أي :مع كُلِّ صَعْلَةٍ ، وقال ابن قتيبة " وقال أبو عبيد في قوله جلّ ثناؤه [١]."و لا تأكلوا أمْوَالَهُمْ إلى أمْوالكُم" أي : مع أموالكم ، و قوله [٢] "مَنْ أنْصاري إلى الله "أي :مع الله "

---

[١] المغنى ٥٧/١

[٢] آل عمران : ٥٢

[٣] والبيت من الخفيف ، شدحت : اتسعت وملأت الجهة ، اللمام : جمع لمة وهي ماألم من الشعر بالمنكب ، والجعاد:جمع جعده وهي ضد السبطة ، اللسان (شدخ) والخزانة ٦٥٤/٣ ، والأشموني ١٧/٤ .

[٤] والبيت من بحر الطويل . الخواد صيغة مبالغة من خائر أي : صوت ويعني به ثوراً ، أو غزالاً يخوز إلى أمّه أي يميل ، وصلعة . كُلّ صغير الرأس ، ضهول أي : يذْهَبُ ويرجع ، الرفض : التفرق ، والمذرعات : البقر معها أولادها : وانظر : الإنصاف ٢٦٧/١ أدب الكتاب صـ ٤٠٩ . واللسان (صعل) وديوانه : صـ ٣٤

قـــال المرادى :(٣) قـــال الفرّاء : قـــال المفسرون : أى : مع الله ، وهـــو وجه حسن قـــال وإنما تجعل " إلى " كـــ " مـــع " إذا ضممت شيئاً إلى شىء ، كقول العرب : **الذودُ إلى الذودُ إبل"** قـــال : فإنْ لم يكن ضَمّ لـــم تكن"إلى "كـــ "مع" فلا. يقال فى"مع فلانٍ مـــالُ كثيراً " إلى فـــلان مالُ كثير " وقال المرادى (٤) "وكون" إلى " بمعنى "مـــع " حكاه ابن عصفور ،عن الكوفيين ، وحكاه ابن هشـــام عنهم ، وعن كثير مـــن البصريين ، وتأول بَعضُهُمْ مـــا ورد ،من ذلك على تضمين العامل ، وإبقاء " إلى "على أصلها ،والمعنى فى قولـــه تعالى" من أنصارى إلى الله "من يُضيف نصرته إلى نصرة الله و"إلى " فى هذا أبلغ من "مع " لأنَّك لو قلت :من ينصرنى مع فلان ، لم يدل على أنَّ فلاناً وحده ينصرك ، ولابُدَّ ، بخلاف " إلى " فإنَّ نصرة ما دخلت عليه محققة واقعة ، مجزوم بهـــا إذ المعـــنى عـــلى التضمين : مَنْ يضيف نصرته ؛ إلى نصرة فلان "

فـــالقول بالتضمين ـــ كما ترى ـــ أضفى على الأسلوب جلالا وظلالاً وتعددت أبعاده ودلالاته ما لم يكن مكتسباً مع "مع " فالتضمين علامة عـــلى تركيـــز المعنى وفهم إبعاده لأنَّ معنى الآيه. من ينضاف فى نصرتى إلى الله ، ولا يتأتى هذا المعنى الدقيق إلا مع إلى ".

---

(١) النساء : ٢

(٢) آل عمران ٥٢ .

(٣) الجنى الدّانى صـ ٣٨٥ ، ٣٨٦

(٤) السابق صـ٣٨٦ .

٢ -أن تكـــون بمعنى " اللام " كقوله عزّ وجل " والأمْرُ إليك (١) " وقولـــه جَـــلّ ثناؤه " (٢) ويَهْدِى من يشاء إلى صراطٍ مستقيم " قال ابـــن قتيبة (٣) "إلـــى بمعنى "اللام" يُقال : هديته له وإليه " ، قال الله عزّ وجل (٤) :"الْحَمْدُ لِلهِ الذي هَدَانَا لِهَذا . وفى موضع آخر (٥) "وإنّـــكَ لـــتهدى إلى صراطٍ مستقيم " وقال تعالى (٦) " وأَوْحَى رَبُّـــكَ إِلَى النَّحْلِ" وفى موضع آخر (٧) : " بأنَّ ربَّك أَوْحَى لها" ، وقيـــل فى " والأمَـــر إليك "إنّ " إلى على أصل معناها وهو الانتهاء والمعنى : والأمر منتهٍ إليك (٨) .

٣- أن تكون "إلى بمعنى " فى " كقول الشاعر:

فلاتتْرُكنىَ بالْوعيد كأننِي . إلى النَّاس مَطْلىُّ به الْقارُ أجْرَبُ (٩)

أى : فى الناس ، ولم يرتض ابن عصفور مجىء "إلى " بمعنى " في " لأنهـــا لو كانت بمعنى " فى " لساغ أن يُقال : زيد إلى الكوفة ، أي :

---

(١) النمل ٣٣
(٢) يونس ٢٥
(٣) أدب الكتاب صـ ٤١٠
(٤) الأعراف :٤٣
(٥) الشورى :٥٢
(٦) النحل ٦٨ .
(٧) الزلزلة ٥
(٨) الجني الداني صـ ٣٨٧.
(٩) قائله النابغة والبيت من الطويل الجني الداني ٣٨٧ ، والمغني ٧٩/١ ، وشرح شواهده للسيوطي ٢٢٣ ، والأزهية ٢٨٣ ، وأدب الكاتب صـ ٣٩٥ .

فى الكوفـــة فــلما لم تقله العرب وجب أنْ يتأول ما أوهم ذلك ، وتـــأول الـــبيت على أنّ قوله "مطْلِي "ضمن معنى "مبغض" [1] وأولـــه غيره علــــى تقدير : كأنني مضافاً إلى الناس فـــ " إلى " تتعــلــق بمحـــذوف دل عــليــه الكــلام [2] ، قال ابـــن هشـــام [3] : " قـــال ابـــن مالك ويمـــكن أن يكـــون منـــه (لَيَجْمَعَنَّكُمْ إلى يَوم الْقِيَامَة [4] " وقال طرفه :

وإنْ يَلْتَقِ الحيُّ الجميعُ تلاقني ∴ إلى زروة الْبَيْتِ الْكَرِيم الْمُصَمَّدِ [5]

٤- أن تكـــون "إلـــى "بمعنى" من " دالة على الابتداء كقول الشاعر:

تَقُولُ وَقَدْ عَالَيْتُ بِالْكُوْرِ فَوْقَهَا ∴ أَيُسْقَى فَلاَ يَرْوَى إِلَيَّ ابْنُ أَحْمَرَا ؟ [6]

أى :منى ، قال المرادي [7] : هذا قول الكوفيين والقتبى ،وتبعهم ابن مالك ، وخرّج على التضمين ، أى : فلا يأتى إليّ الرواء٠

---

(١) الجني الداني ٣٨٨ ، والمغني ٧٥/١ .

(٢) الجني الداني صـ ٣٨٨ .

(٣) المغني ٧٥/١

(٤) الأنعام :١٢.

(٥) قائله طرفه بن العبد والبيت من الطويل ، أدب الكاتب صـ٣٩٥ ، والأمالي الشجرية ٢٦٨/٢ ، والخزانة ١٣٩/٤

(٦) قائـلـه عمرو بن أحمد والبيت من الطـــويل : المغنـــي ٧٥/١ ، الجنـــي الداني صـ ٣٨٨ ، وشرح شواهد المغنى لليسوطي ٢٢٥ ، الهمع ٢٠/٢ ، والأشمـــوني ٢١٤/٢

(٧) الجني الداني ٣٨٩ .

٥- أنْ تكون "إلى بمعنى "بعد" كقول الشاعر :

أمْ لاَ سَبيل إِلَى الشَّبابِ وذِكْرُه ∴ أشْهَى إليّ مِنَ الرّحِيقِ السَّلْسَلِ [١]

أي :عندي ، وقيل : إنّ "إلى " في البيت للتبيين لأنّ ما بَعْدَها ـ وهو ياء المتكلم ـ فاعل معنوى ، كقوله تعالى [٢]رَبِّ السجن أحبُّ إليّ " و "إلى" التى للتبيين هى المبيِّنَة لفاعلية مجرورها بَعْدَ ما يفيد حُبّاً أو بغضــاًمن فعل تعجب أو اسم تفضيل [٣]المشتقين من لفظ يدل على الحــب أو الــبغض ، و ما بمعناها ،كالود والكره ، كقولهم : احتمال المشقة أَحَبُّ إلى النفس الكريمة من الاستعانة بلئيم الطبع ،فما أَبْغَضَ الاستعانة به إلى نفوس الأحرار !! "فكلمة " نفس" هى الفاعل المعنوى ـ لا الــنحوى ـ لاســم التفضــيل (أحــب) لأنَّها فى الواقع هى فاعلــة الحــب ، أَوْ هى التى قام بها الحب ، وكذلك كلمة (نفوس) فإنّهــا الفاعل المعنوى (لا النحوي) لفعل التعجب (أبغض) إذ هى فاعــلة الــبغض حقيقــة أو هى الــتى قام بها البغض ٠ والذى قطع بفاعليــتها المعــنــة ومن كُلّ احتمال آخر هو وقوعهـــا بعـــد حرف الجر (إلى) [٤].

---

[١] اقائله أبو كبير الهذلي ، والبيت من الكامل ، الرحيق : الحمزة ، السلس : السلسلة : الدخول في الحلق : الجني الداني صـ٣٨٩ ، والمغني ٧٥/١ ، وشرح شواهده ٢٢٦ ، الهمع ٢٠/٢ ، والأشموني ٢١٤/٢ ، ديوان الهذليين ٨٩/٢ .

[٢] يوسف ٣٣ .

[٣] المغني ٧٥/١، والجني الداني صـ٣٨٦ ، ٣٨٧ .

[٤] النحو الوافي / عباس حسن ٤٦٩/٢ بتصرف .

ومن ثَمّ فحمل "إلى " في البيت على معنى التبيين أولى من ادّعاء أنها فيه بمعنى "عند "لأنّ المعنى على التبيين ألصق وبه أحرى ٠

ومن تتمة القول ها هنا أنّ الفرّاء [1] ادّعى زيادة " إلى " للتوكيد محتجاً بقراءة من قرأ " فاجعل أفئدة مِن النّاسِ تَهْوَى إليهم " بفتح الـــواو. وخـــرجت على تضمين "تهوى" مَعْنَى "تميل" أوْ أنّ الأصل " تَهْوِى " بالكسر ، فقلبت الكسرة فتحة ، والياء ألفاً كما يُقـــال فـــى " رَضِـــىَ " رَضَـــا ، وفى ناصية ناصاه ،قال ابن هشام [2] "قاله ابن مالك وفيه نظر ، لأنّ شَرْط هذه اللغة تحرك الياء فى الأصل "

وعندى أنّ حمل الآية على التضمين أولى من ادّعاء الزيادة ، وخاصة أنّ ثمة علاقة بين الفعلين .

---

(1) المغني ٧٦/١ ، والجني الداني ٣٨٩ ، ٣٩٠ .
(2) المغني ٧٦/١

على

على للاستعلاء وهو أكثر معانيهـــا استعمالاً، والاستعلاء إمّا حسّي كقوله تعالى [1] "وعليها وعلى الفلك تحملون " وقوله [2] " كُلٌّ مَنْ عَــلَيْها فان " وإما معنــوياً كقوله جل ثناؤه [3] " تِلْكَ الرُّسُل فَضَّلْنا بَعْضَــهُم عَــلىَ بَعْضٍ" والاستعلاء حساً أو معنى يدل على أنّ الاسم المجــرور بـــ" على " وقع فوقه المعنى الذي قبل" على" وقوعاً حقيقياً مباشــراً أو مجازياً كما مثلنا ، وجُلّ البصريين لم يثبت لها غير هذا المعنى وما جاء ظاهره مُخالفاً له تأولوه ، وابن هشام يذكر لها تسعة معــانٍ [4] ، والمرادي ينقل عن ابن مالك أنّ لها ثمانية معان [5] من بين هذه المعاني إنابتها عن غيرها من ذوي جنسها وتأديتها لمعانٍ هــي لغيــرها فــي الحقيقــة ، فالبصريون كما علمت يتأولون ذلك والكوفيــون يــرون أنها معانٍ تؤديها "على" على سبيل الحقيقة فهي معــان أصيلة فيها فهم يرون التجوز في الحرف وإليك الحروف التي ترد على بمعناها .

١- ترد على بمعنى "عن" فتفيد المجاوزة كقول الشاعر :

---

[1] المؤمنون ٢٢

[2] الرحمن ٢٦ .

[3] البقرة ٢٥٣

[4] المغنى ١٤٣/١ .

[5] الجني الداني صـ٤٧٦ .

إذا رضيت عَلَيَّ بَنُو قُشَيْرٍ ∴ لَعمْرُ اللهِ أعجبني رضاها [١]

أي : عني قال المرادي : "قال ابن مالك وكذلك الواقعة بعد ، حفى ، وتعـــذر ، واستحال ، وغضب ، وأشباهها ، وتقول : إذا رضى علي ربي فقد حيزت لي الدنيا والآخرة أي إذا رضى عنى فـــ " على " ها هـــنا بمعنى عن من قبل أن الأصل في رضي أن يتعدى بعن لا بعلى قال الله عز وجل [٢] : " رضي الله عنهم ورضوا عنه " وقوله جلّ ثناؤه [٣] لقـــد رضى الله عـــن المؤمنين إذ يبايعونك " ، وقول الشاعر :

إذا رضيت عَني كِرامُ عَشِيرتي ∴ فَلاَ زَالَ غضبَاناً عَلَيّ لئامُها.

وإنما عُد " رضي" بـــ" على" في البيت الشاهد حملاً على ضده الذي هـــــو غضب ومن سننهم حمل الشيء على ضده كما يحملونه على مـــثله [٤] ويحـــتمل أن يكـــون رضى ضمن معنى "عطف " وتقول رميت على القوس أي عنها وكقول الشاعر :

---

(١) قائلـــه القحيف العقيلي والبيت من الوافر : المغني ١٤٤/١ والجني الداني صـ ٤٧٧ وأوضح المســالك ٤١/٣ ، والأزهية ٢٨٧ ، وأديب الكاتب ٣٩٥ ، والخصائص ٣١١/٢ والمقتضب ٢٠/٢ .

(٢) البينة ٨ .

(٣) الفتح : ١٨

(٤) أوضح المسالك ٤٣/٣ (هـ) .

فِي لَيْلَةٍ لاَ نَرَى بِهَا أحداً ∴ حَكِى عَلَيْنَا إِلاّ كَوَاكِبُهَا (١)

أي : عنا ، قـــال ابن هشام (٢) : "وقد يقال ضمن يحكي معنى ينم .

٢- **تـــرد عـــلى بمعنى " مع " للدلالة على المصاحبة كقوله تعالى** (٣) " ، إن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم " أي : مـــع ظلمهم وخـــرج ابن مالك عليه قوله تعالى(٤) " وأتى المال على حبه " وقال لبيد :

كَأَنّ مُصَفَحاتٍ فِى ذُرَاهُ ∴ وَأنوَاحاً عَلَيّهِنَ المآلي (٥)

أي معهن ، وقال الشماخ:

وَبُرْدَانِ مِن خَالٍ ، وَسَبعُونَ دِرْهَماً ∴ عَلَى ذَاكَ مَقْرُوظٌ من القدّ مَاعِزُ (٦)

أي : مع ذاك

---

(١) قائله عدي بن زيد ، والبيت من المنسرح : : الكتاب ٣١٢/٢ ، ٣١٨ والمقتضب ٤٠٢/٤ ، والأغاني ١١٥/١٣ والمحتسب ٦٤/١ والمغني ١٤٣/١ وديوانه ٣٣٣/١ .

(٢) المغني ١٤٣/١ .

(٣) الرعد ٦

(٤) البقرة ١٧٦ .

(٥) والبيت من الوافر : أدب الكاتب ٤١١ .

(٦) والبيت من الطويل : أدب الكاتب صـ٤١١ .

٣- تــرد عــلى بمعــنى " مِنْ " كقولــه عزّ وَجلّ [١] " إذا اكْــتَالُوا عَــلى النَّاسِ يَسْتَوْفونَ " وقوله جلّ ثناؤه [٢] " والذينَ هُمْ لِفُرُوجهم حَافِظون ، إلاّ على أزواجهم " قال ابن قتيــبة [٣] " على " بمعنى من قــال أبو عبيدة في قــول الله عَــزَّ وجل " إذا اكتالوا على الناس يستوفون " أي من الناس " وقال الشاعر :

متي مَا تُنْكِرُوها تَعرِفُوها ∴ عَلىَ أقْطَارِها عَلَق نفيثُ [٤]

أي: من أقطارها .

٤- تــرد عــلى بمعــنى " الــباء" يقال " اركَبْ على اسْمِ اللهِ" أي:باسم الله وكقوله تعالى [٥] "حقيق على أنْ لا أقول " أي: بي، وقد قرأ أُبَيُّ بالباء [٦] ، ويقال : عنف عليه ، وبه ، وخرق عليه وبه ، وقال الشاعر :

---

(١) المطففين :٢

(٢) المؤمنون : ٥ ، ٦ .

(٣) أدب الكاتــب ٤١١ ، وانظــر المغني ١٤٤/١ والجني الداني ٤٧٨ والأزهية صـ٢٧٥ .

(٤) قائله أبو المثلم الهذلي والبيت من بحر الوافر : أدب الكاتب صـ٤١١ ، والأزهية ٢٧٦ .

(٥) الأعراف : ١٠٥ .

(٦) المغنى ١٤٤/١ .

شدُّوا المَطِي على دليل دائب ∴ مِن أهل كاظمة فَسيْفِ الأخفر (١)

وفـــي الحديـــث :من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها فليكف عن يمينه وليفعل الذي هو خير " فـ " على " هنا بمعنى "الباء" (٢)

وقال أبو ذؤيب الهذلي :

فَكأنّهُنَ رَبَابَة وكأنَّهُ ∴ يُسَرُ يَفيض على القِداحِ وَيَصدَع (٣)

أراد : يفيض بالقداح ، أي : يضرب بها .

٥- ترد " على " بمعنى "فـــي" للدلالـــة علـــى الظرفية كقوله تعالى (٤) " وَدَخَلَ المَدينةِ على حين غفلةٍ" أي في حين : غفلة وقوله تعالى (٥) " واتبعوا ما تتلو على ملك سليمان " أي فـــي زمن ملكه، ويقال آتيته على عَهْد فلان ، أي في عهده ، قال ابن هشام (٦) "يحتمل أن " تتلو" ضمن معنى تـــتقول ، فيكـــون بمـــنزلة " ولـــو تقول علينا بعض الأقاويل "، وقال الأعشى :

---

(١) لم أقف على نسبه والبيت من الوافر : أدب الكاتب صـ٤١٠ .

(٢) جواهر الأدب للإربلي ٢٦٤ .

(٣) والبيت من بحر الكامل : الأمالي الشجرية ٢٦٩/٢ ، والمفضليات ٤٢٤ ، الهذليين ٦/١ ، الأزهية ٢٧٧ ، ٢٧٨ .

(٤) القصص ١٥.

(٥) البقرة ١١٢

(٦) المغني ١٤٤/١ وانظر الجني الداني صـ ٤٧٧ ..

" فَصَلِّ عَلَىَ حِينَ العِشِيَّات والضحى ∴ ولا تَعْبُدَ الشيطانَ واللهَ فاعبُدَا (١)

أي : في حين العشيات .

---

(١) البيت من بحر الطويل ، الأزهية ٢٧٥ ، والمغني ٣٧٢/٢ ويروى صدوره "وإياك والمبينات لاتقر بنها "
وعلى هذه الرواية فلا شاهد فيه لما نحن فيه ، وهي رواية الانصاف٦ ٦٥٧/٢ ، والعيني ٣٤٠/٤.

عــنْ

عَــن وهى لــلمجاوزة، وهــو أصــل معانيها وأشهرها ، ولَمْ يذكر البصريون سواه .

قــال المــرادى : " ولكونهــا للمجاوزة عُدّى بها : صدّ ، وأعرض ونحوهمــا ، ورغــب ، ومــالَ ، إذا قُصِدَ بهماَ ترك المتعلِق نحو : رغبت عن اللهو ، وملت عنه".

والمجــاوزة إمّا حقيقية ، وذلك إذا كانت تدل على بُعْدَ جسم عن جسم نحــو: سرت عن البلد ، ورميت عن القوس ؛ لأنّه يقذف عنها بالسهم ويــبعده ، ويذكر لها في هذا المثال معنى غير هذا ، وسيأتي ، وإمّا مجازية .

وذلــك إذا كانت في المعاني كقولــه عَزّ وجل [1] " وَمَن أَعْرَضَ عَــنْ ذِ كَــرى فــإنَّ لَهُ معيشة ضنْكًا " و ذكر غير البصريين معانِىَ أخــرى لهــا منها إنابتها عــن غيرها مــن أخواتها فى تأدية المعنى الخاص بها فقالو

---

[1] طه : ١٢٤

١ -ترد "عَنْ " بمعنى "على" للدلالة على الاستعلاء كقوله تعالى [١]. " ومَنْ يَبْخَلُ فإنّما يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ " أىْ : على نفسه ، وكقول الشاعر :

لاهِ ابْنُ عَمّكَ لا أفضلت فِى حسبٍ ∴ عَنِّى ولاَ أنْتَ دَيّانِى فتَخْزُونِى [٢]

أىْ :عَــلَىّ ، وقيل : " عَنْ " باقٍ على أصله بَيْدَ أنّ الشاعر ضمن " أفضَلْتُ " معنى " تجاوزت فى الفضل ، ومنه قوله تعــالى [٣] " إنِّى أحبــبت حُب الخير عن ذكر ربى "قال ابن هشــام [٤] " أى : قدمته عليه ، وقيل : هى على بابها وتعلقها بحــال محذوفة ؛ أى منصرفاً عــن ذكر ربى ، وحكى الرمانى عــن أبى عبيدة أنّ " أحببت " من " أحب البعير إحباباً " إذا بَرَك فَــلَم يَــثُر ، فَعَن متعلقة به باعتبار معناه التضمنى ، وهى على حقيقــتها ، أى إنى تَثَبَّطْتُ عن ذكر ربى ، وعلى هذا فــ " حُبّ الخير " مفعول لأجله "

---

[١] محمد ٣٨ .

[٢] قائله ذو الإصبع ، واسمه الحارث بن محرث ، والبيت من بحر البسيط ، وانظر أدب الكاتب ٤٠٤ ، والخصائص ٢٨٨/٢ ، والمخصص ٦٦/١٤ وشرح المفصل ٥٣/٨ ، وأوضح المسالك ٤٣/٣ والمغني ١٤٧/١ ن والجني الذاتي صـ ٢٤٦ ، والخزانة ٢٢/٣ ، واللسان (فضل) والمقرب ٢١٦ .

[٣] ص ٣٢ .

[٤] المغني ١٤٧/١ .

قال المرادى [1] " قال ابن مالك : ومنه "بَخِلَ عنه" و الأصل عــليه قال : لأنَّ الذى يسأَلُ فَيَبْخَلُ يُحَمِّلُ السائل ثقل الخيبة ، مضــافاً إلى ثقل الحاجة . ففى "بخل" معنى "ثقل" فكان جديراً بأَنْ يشاركه فى التعدية بــ "على ".

٢- ترد " عن " بمعنى "الباء" للدلالة على الاستعانة نحو : رميت عن القوس فــ " عن " هاهنا بمعنى الباء لأنَّهم يقولــون . رميت بالقوس حكاها الفراء ، قال ابن هشام [2] :"وفيه رَدٌّ على الحريرى فى إنكاره إن يقَال ذلــك ،إلا إذا كانت القوس هى المرمية ، وحكى أيضا رميت على القوس "قال امرؤ القيس :

تَصُدُّ و تُبْدى عَنْ أَسيلٍ و تتَّقى ∴ بنَاظرة مِنْ وحش وجرة مطفل [3]

أى :تَصُدُّ بأسيل .

---

(١) الجني الدّاني ٢٤٦ .

(٢) المغنى ١٤٩/١ ، والجني الداني ٢٤٧ ..

(٣) والبيت من بحر الطويل ، أراد ب"وحش وجرة " الظباء ، المطفل : التي لها طفل أدب الكتاب ٣٩٩ ، والخزانمة ٢٤٤/٤ ، والأزهية ٢٧٩ والجني الداني ٢٤٩ .

وقال أبو عبيد [١] في قول الله عزّ وجلّ [٢]: أو ما ينطق عن الهــوى " أي : بــالهوى ، قــال ابن هشام [٣]" والظاهر أنّها على حقيقتها ، وانّ المعنى وما يصدُره قَوله عن هوى " ،وقولك :قُمْتُ عن أصحابى " أي : بهم

٣ــ تــرد " عَنْ بمعنى " من "كقول الله عزّ وجل [٤] " أولئك الذين نَتَقَــبَلُ عنهم أحسن ما عملوا " وقال جلّ شأنه [٥] " وهو الذى يقْبلُ الــتّوبَه عَــنْ عباده " فـــ " عن " فى الآيتين بمعنى "من " بدليل قوله عَزّ اسمة [٦] : " ربنا تَقَبّلْ مَنَّا " .

٤- ترد " عن " بمعنى " فى " للدلالة على الظرفية كقول الشاعر

وآسِ سرَاة الحَىِّ حَيْثُ لَقِيتهــم ∴ ولا تَكُ عَنْ حَمْل الرّباعة وانيا [٧]

فـــ " عن " بمعنى " فى " لأنّ "ونى " لا يتعدى إلا بـــ " فى " بدليل " ولا تنيا فى ذكرى "

---

[١] أدب الكاتب ٣٩٩ .

[٢] النجم :٣ .

[٣] المغني ١٤٨/١ .

[٤] الأحقاف : ١٦

[٥] الشورى :٢٥ .

[٦] البقرة ١٢٧ .

[٧] قائله الأعشى ، والبيت من الطويل : المغنى : ١٤٨/١ ، وشرح شواهده ٤٣٤ ، والجني الداني ٢٤٧ والأشموني ٢٢٤/٢ ، وديوانه :٢١٧ .

قــال ابــن هشام (١) والظاهر أنَّ معنى " وَنِيَ عَنْ كذا " جاوزه ولم يدخل فيه و"ونى فيه "دخل فيه وفتر"

٥ – تــــرد " عن " بمعنى " اللام " لدلالة على التعليل كقوله عز وجــــل(٢)" ومــــا (نحن بتاركى آلهتنا عن قولك " ، و قوله جل ثــناؤه (٣) : ومــا كان استِغْفَارُ إِبْرَاهيمَ لِأَبِيه إلا عَن مَوْعِدَة : أى : لموعدة .

٦– تــرد :عَنْ بمعنى " بعد " كقوله عَزّ وجل " لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عن طبق "

أى : حالة بَعْدِ حالة ، ومنه "عَمّا قِيل لَتُصبْحُنَّ نادمين " أى : بَعْد قليل ، وقولهم أطْعَمْتُه عَنْ جَوعٍ أى بَعْدَ جُوعٍ.وقال الشاعر :

وَمَنْهَل وَرَدْتُه عَنْ مَنْهَلِ ∴ قَفْرِ به الأعطانُ لَمْ تُسَهَّلِ (٤)

وقال امرؤ القيس :

ويُضحِى فَتِيتُ المِسكِ حَولَ فَرَاشِهَا ∴ نَؤوم الضُحَى لم تَنْتَطِقْ عَنْ تَفضّلِ (١)

---

(١) المغني ١٤٨/١ .

(٢) هود : ٥٣ .

(٣) التوبة : ١١٤ .

(٤) قائله العجاج ، والبيت من الرجز ، المخصص ٦٧/١٤ والأمالي الشجرية ٢/ ٢٦٩ والمغني ١٤٨/١ .

٧- ترد "عن" بمعنى "من أجل" كقول لبيد :

لِوِرْدٍ تَقْلِصُ الغيطانُ عنه ∴ يَبُذُّ مَفَازَةَ الْخِمْسِ الكلالِ (٢)

أي من أجله وقال النمر بن تولب :

وَلَقَدْ شَهِدْتُ إِذَا الْقِدَاحُ تَوَحَّدَتْ ∴ وشَهِدْتَ عِنْدَ اللَّيْلِ مُوقَدَ نَارِها (٣)

عَنْ ذَاتِ أَوْلِيَةٍ أَسَاوِدُ رَيِّهَا ∴ وكأَنَّ لَوْنَ الْمِلْحِ فَوْقَ شِفَارِها

أي : من أجل .

قـال المـرادى (٤) : " واعـلَمْ أنَّ هذه المعانى السابقة إنَّما أَثْبَتَهَا الكوفيـون ، ومَنْ وافقهم كالقُتَبىّ ، وابن مالك .قال بعض النحويين : وهـذا الـذى ذهب إليه الكوفيون باطل ، إذ لو كانت لها معانى هذه الحـروف لجاز أن تقع حيث تقع هذه الحروف ، فوجب أن يتأول جميع ما ذكروه مما خالف معنى المجاوزة .

---

(١) والبيت من بحر الطويل : والمعنى : لأنَّ ريح المسك يعلق بفراشها من طيب ريح جسدها وإن لم تكن قد تطيبت . أدب الكاتب ٤٠٥ هـ(٣) .

(٢) قائله لبيد العامري والبيت من الوافر الغيطان : ما انخفض من الأرض واحدهما غائط والبيت في وصف الحمر والأتن : أدب الكتاب ٤٠٦ هـ (٢٢) .

(٣) والبيت من بحر الكامل ، أساود من المساوده وهي المسارة : أدب الكاتب ٤٠٧ ، رصف المباني صـ٤٣١ .

(٤) الجني الداني صـ ٢٤٩ .

الباء

والـباء للإلصاق ، وهو أصل معانيها، ولم يذكر سيبويه[1] غيره قال : "وباء الجر إنّما هى للإلزاق والاختلاط ، وذلك قولك : خرجت بزيد ، ودخلت بزيد ، وضربته بالسوط : ألْزَقْت ضَرْبَكَ إيّاه بالسوط ، فما اتسع من هذا الكلام فهذا أصله " والالصاق ضربان : حقيقي نحو " أمْسَكتُ الحبل بيدى " أى " الصقتها به ، ومجازى ، نحو : مررتَ بخـالدٍ أي التصـق مـروري بموضع يقرب منه وعن الأخفش ، أن المعـنى : مـررت على خالدٍ ، فالباء بمعنى "علـى " وبه قال ابن مالك بدليل " وإنّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحين [2] " والكوفيون يقولون بـنيابة الـباء عن غيرها من ذوات جنسها أعنى أخواتها من حروف الجـر فالـباء ـ عندهم ـ تُؤدي معنى غيرها من حروف الجر وما تؤديه من معنى غيرها هو معنى حقيقي أصيل فيها ، وهاك الحروف التي ترد " الباء " بمعناها .

١- تـردُ الـبـاء " بمعـنى " مع " للدلالة على المصاحبة ، قال المـرادى [3] "ولهـا علامتان : إحداهمـا : أنْ يَحسُنَ فى

---

[1] الكتاب ٢١٧/٤ .

[2] المغنى ١٠١/١ ، والجني الداني ٣٦ ، ٣٧ والأزهية صـ ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، جواهر الأدب صـ ٤٣ ، ٤٤ .

[3] الجني الداني : ٤٠ .

موضـــعها "مع "، والأخرى : أن يغنى عنها وعن مصحوبها الحال ، كقوله تعالى [1]: " قَدْ جاءَكم الرسولُ بالحق " أى : مــع الحق، أوْ مُحقًّا ، " [2] يا نُوحُ اْهبطْ بسَلام " أى : مع ســلام ، أو مُســلِّماِ عليك . ولصلاحية وقوع الحال موقعها سماَها كثير منّ النحويين باء الحال " ، وقد اختلف فى الباء " من قولــه تعالى [3] : " فَسبِّح بِحَمْد ربّك " فقيل للمصاحبة بمعــنى " مــع " والحمد مضاف إلى المفعول ، أىْ : فسبحه حَــامداً له ، أىْ نــزههَ عَمــا لا يليق به وأثْبت له ما **يليــق بــــه وقيـــل : للاستعانـــــة ،والحمـــــد مضاف إلى الفــاعل أي ســبحه** بمــا حمــد بـــه نفسه إذ لَيْسَ كُلّ تنزيه بمحمود ، ألاَ تــــرى أنْ تسبيح المعتزلة اقتضى تعطيل كثير من الصفات[4]

٢- **تــرد " الــباء " بمعــنى "منْ " للدلالة على التبعيض قال ابن هشام " أثبت ذلك الأصمعى والفارسى والقتبى وابن مالك ، قيل** : والكوفيون ،وجعلوا منه "عيْنا يشربُ بها عباد الله [5] " و قوله :

---

(١) النساء : ١٧٠
(٢) هود : ٤٨ .
(٣) النصر : ٣
(٤) المغني : ١٠١/١
(٥) الإنسان : ٦ .

شَرِبْنَ بِمَاءِ الْبَحْرِ ثُمّ تَرَفَّعت ∴ مَتَى لُجَجٍ خُضْرٍ لَهُنَّ نَئِيجُ [١]

قيل ومنه "وامسحوا برُؤُوسكم [٢] " والظاهر أنَّ الباء فيهن للإلصاق، و قيل : هى في أية الوضوء للاستعانة ، وإنَّ فى الكلام حذفاً وقلباً ، فإنَّ " مسح "يتعدى إلى الْمزَال عنه بنفسه ، و إلى المزيل بالباء فالأصل "امْسَحُوا رؤسكم بالماء "

قال المرادى [٣] "ولم ترد باء التبعيض عند مثبتيها إلا مع الفعل المتعدى وقد أنكر قوم ، منهم ابن جنى ورود باء التبعيض ، وتأوّلوا ما استدل به مثبتوا ذلك على التضمين " قال ابن جنى [٤] "فأمّا ما يحكيه أصحاب الشافعى ، رحمه الله ،عنه من أنَّ "الباء للتبعيض ، فشيء " لا يَعْرِفه أصحابنا ولا ورد به ثبت " قال المرادى [٥] : " قال ابن مالك ، والأجود تضمين " شَرِبْنَ معنىِ : رَوِيْنَ ، وجعل الزمخشرى الباء فى الآيه (يشرب بها عباد الله) كالباء فى

---

[١] قائله أبو ذؤيب الهذلي ، والبيت من بحر الطويل ، المغنى ١٠٥/١ ، والجني الداني :٤٣ وديوان الهذليين ٥١/١ ، والخزانة ١٩٣/٣ ، والأمالي الشجرية ٢/ ٢٧٠ ، والخصائص ٨٥/٢ والأزهية ٢٠٩ .

[٢] المائدة :٦

[٣] الجني الداني ٤٤.

[٤] سر الصناعة ١٩٣/١ .

[٥] الجني الداني ٤٤ .

"شـــربْت المـــاء بالعســـل ،والمعنى : يشرب بها عباد الله الخمر " ،
وقال ابن قتيبة[1] الباء بمعنى "من " كقول عنترة

شَرِبَتْ بماءِ الدُّحْرُضَيْنِ فأصبحت ∴ زوراءَ تنفر عن حِياضِ الدَّيْلَم [2]

والأولى أن يضمن "شرب " معنى " رَوِى " وقال الشاعر :

فلَثمتُ فاها آخذاً بقرونها ∴ شربَ النزيفِ بِبَرْدِ مَاءِ الحَشْرَج [3]

أى : من برد .

٣- تــرد "الباء " بمعنى " عَنْ " للدّلالة على المجاوزة ، كقولــه تعــالى [4] : " فاسأل به خبيرا " أى : عنْهُ وقولـــــه عَــزّ وجل[5] : " سألَ سائل بِعَذاب واقع " وذلك كثير بَعْدَ السؤال ، وقـــال علقمة بن عَبَدَة :

---

(١) أدب الكاتب ٤٠٨

(٢) والبيت من الكامل : الدُّحْرُضين : مكانان : أحدهما : وحرض ،والآخر ، وسيع ، فغلب أحدهمـــا على الآخر ، الزوراء : المائلة – أدب الكاتب ٤٠٨ ، المحتسب ٨٩/٢ ، الأمالي الشجرية ٢٧٠/٢ وشرح المفصل ١١٥/٢ .

(٣) قائله أبو جميل ، والبيت من الكامل ، المغني ١٠٥/١ ، العيني ٢٧٩/٣ والهمع ٢١/٢ ، والدرر ١٤/٢ ، والأغان ٧٥/١ ، وديوانه ٤٢.

(٤) الفرقان : ٥٦ .

(٥) المعارج : ١

فَإِنْ تَسْأَلُونِى بِالنِّسَاءِ فَإِنَّنِى ∴ خبير بِأَدْوَاءِ النِّسَاءِ طبيبُ [1]

وقليل مجيئها بمعنى "عن" بعد غير السؤال كقوله تعالى [2] "ويوم تشقق الأرض بالغمام" أى : عن الغمام وقوله جَلّ ثناؤه "يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم" [3].

أى : وعن أيمانهم ، والصواب أنّها لا تختص بالسؤال ، قال المرادى : [4] "أما كونها بمعنى "عن" بَعْدَ السؤال فهو منقول عن الكوفين ، وتأوّله الشلوبين ، على أنّ الباء فى ذلك سببية ، أى فاسأل بسببه " وعزا ابن هشام هذا التأويل للبصريين قال [5] " وتأوّل البصريون " فاسأل به خبيرا .على أنّ الباء للسببية ، وزعموا أنّها لا تكون بمعنى "عن" أصلاً ، وفيه بعد ، لأنه لا يقتضي قولك : "سألت بسببه" أنّ المجرور هو المسؤول عنه "

وقال بَعضُهُم : هو من باب التضمين ، أى : فَاعْتَنِ به ، أَوْ فاهْتَمَّ به.

---

(1) والبيت من بحر الطويل ، الجنى الدّانى ٤١ ، والعينى ١٦/٣ ، الدرر ٤/٢ ، والمفضليات ٣٩٢ ، وديوانه ٣٥ .

(2) الفرقان : ٢٥

(3) التحريم : ٨

(4) الجنى الدّانى : ٤٢

(5) المغنى ١٠٤/١ .

وقال عنترة :

هَلاّ سَأَلْتِ الْخَيْلَ يابْنَةَ مَالِكٍ ∴ إنْ كُنْتِ جَاهِلَةً بِمَا لَمْ تَعْلَمِ (١)

أى : عمّا لم تَعْلَمِ ، وقال بن أحمر

تُسَائِلُ بِابْنِ أَحْمَرَ مَنْ رآه ∴ أعَارَتْ عَيْنُه أَمْ لَمْ تُعَارا (٢)

وقال الأخطل :

دَعِ الْمُغَمَّرَ لا تَسْأَلْ بِمَصْرَعِهِ ∴ واسْأَلْ بِمَصْقَلَةَ الْبَكْرِىِّ ما فَعَلاَ (٣)

وقال : مالك بن خريم الهمدانى :

وَلاَ يَسْأَلُ الضَّيْفَ الغَرِيبَ إذا شَتَا ∴ بِمَا ذَخَرَتْ قِدْرِي لَهُ حِينَ ودَّعَا(٤)

أي : عَمّا ذخرت ، وقال النابغة :

---

(١) والبيت من الكامل ، الأمالى الشجرية ٢٧١/٢ .

(٢) والبيت من بحر الوافر ، المنصف ٢٦٠/١ ، الأمالى الشجرية ٢٠٣/٢ ، وشرح المفصل ٧٤/١٠ ، وشرح شواهد الشافية ، للبغدادى ٣٥٣ يسن على التصريح ٣٨٧/٢

(٣) والبيت من بحر البسيط : المغمر : الذى تغمره الرجال ، أى : تفضله وتعلوه . أدب الكاتب

(٤) والبيت من بحر الطويل ، وبَعْدَ البيت المستشهد به قوله :

فإنْ يَكُ غثًا أوْ سميناً *** سأجْعَلُ عَيْنَيْهِ لنفسه مقنَعَا .

وهذا من شواهد سيبويه ٢٨/١ على الحذف : أراد : لنفسهى فحذف الباء ضرورة فى الوصل تشبيهاً بها فى الوقف ، وبيت الشاهد فى أدب الكاتب ٣٩٩ .

كَأَنَّ رَحْلِى وَقَدْ زَالَ النَّهارُ بِنَا ∴ بِذِى الْجَلِيلِ على مُسْتَأْنِسٍ وَحدِ (١)

أراد : زال النهار عنا

٤ـ تــرد " البــاء " بمعنى " فــى" للدلالــه علــى الظرفية

كقولــه تعالى (٢) " السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ به " أى فيه أى : يوم القيامة ، وقولـــــه جَــلَّ شأنه : (٣) " للذى ببَكَّة مباركًا "أى : فى مكة وقولــه جَلّ ثناؤه (٤) " لقد نصركم الله ببدر "أى ببدرٍ

وقوله (٥) " نَجَيْنَاهُمْ بسحر " أى فى سحر ٠ وقال الشاعر

إِنْ الرَّزِيَّةَ لاَ رَزِيَّةَ مِثْلُهَا ∴ أَخَوايَ إِذْ قُتلاَ بِيَوْم واحد

أراد : فى يــوم واحد ، وقال الله تعالى (٦) "وإِنَّكُمْ لَتَمُرُونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ.وباللَيل " أي : وفي الليل .

قال المرادى : (٧) "وهى كثيرة فى الكلام " وقال الأعشى :

---

(١) والبيت من البسيط ، الأمالى الشجرية ٢٧١/٢ ، والخصائص ٣٦٢/٣ ، وديوانه ١٨ .

(٢) المزمل : ١٣

(٣) آل عمران : ٩٦

(٤) آل عمران : ١٢٣

(٥) القمر : ٣٤

(٦) الصافات : ١٣٧ ، ١٣٨ .

(٧) الجنى الدانى صـ ٤٠

ما بكاء الكبير بالاطلال ∴ وَسُؤالى فَمَا يَرُدّ سُؤالى [1]

أى في الأطلال ، ومنه قوله عزّ وجلّ [2] " وأوْحَيْنَا إلى مُوسَى وَ أَخِيهِ أنْ تَبَوَّءا لقومكما بِمصْرَ بيوتا " أى فى مصر ، وقال زهير :

بها العينُ و الآرامُ يَمْشِينَ خِلْفَةً ∴ وأطلاؤها يَنْهَضْنَ مِنْ كُلِّ مَجْثَمِ [3]

أى : فيها

٥ ــ ترد " الباء " بمعنى " على " للدلالة على الاستعلاء كقوله تعالى [4] " وَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ " أى : على قنطار ، بدليل [5] " هَلْ آمَنُكُمْ عليه إلاّ كَمَا أمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيه مِنْ قَبْلِ " وقوله جلّ شأنه : [6] " وإذَا مَرّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ " بدليل : " وإنَّكُمْ لَتَمُرّونَ عَلَيْهِمْ " وقال الشاعر :

أرَبٌّ يَبُولُ الثُّعْلُبانُ بِرَأسِهِ ∴ لَقَدْ هَانَ مَنْ بَالَتْ عَلَيْهِ الثَّعالِبُ [7]

---

[1] والبيت من الخفيف ، أدب الكاتب صـ ٤٠٨ ، والخزانة ١٥٥/٤ ، وديوانه ٣

[2] يونس : ٨٧

[3] والبيت من بحر الطويل : ديوان زهير ، وصنعتة ثعلب صـ ٥

[4] آل عمران ٧٥ .

[5] يوسف : ٦٤

[6] المطففون : ٣٠

[7] قائله راشد بن عبد الله ، والبيت من الطويل : الأمالى الشجرية ٢٧١/٢ ، والمغنى ١٠٥/١ ، وشرح شواهده : ٣١٧ ، والجنى الدانى ٤٢ والهمع ٢٢/٢ ، واللسان (ثعلب)

أى : على رأسه . وقال عمرو بن قُمَيْئة

بِوُدِّكِ ما قَوْمِي على أنْ تَرَكْتِهِمْ ∴ سُلَيْمَى،إذا هَبَّتْ شَمَالٌ ورِيحُهَا[1]

أى : على وُدِّكِ قومى ، و" ما " زائدة

---

[1] والبيت من الطويل ، أدب الكاتب ٤١٤ ، والأزهية ٢٨٥ ، ٢٨٦

مِنْ

مـــن : وهى لابــتداء فى المكــان اتفاقاً ، وهــو الغالب عليهـــا ، حـــتّـــى ادّعى جمـــاعـــة أنّ سائر معانيها راجعـــة إليـــه ، كقولـــه تعالى [١] " (مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إلى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى) وتكون لابــتداء الغاية فيما نُزّل مَنْزِلة المكان كقولك : مِنْ فلان إلى فلان أمّا كونها لابتداء الغاية فى الزمان فأثبته الكوفيون ووافقهم الأخفش وابن دُرُسْتُوَيه مستدلين بقولـــه تعالـــى : [٢] " لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أوّلِ يَوْمٍ .. "

وفى الحديث [٣] " فمطرنا من الجمعة . وقال النابغه :

تُخُيِّرْنَ مِنْ أَزْمَانِ يوم حليمَةٍ ∴ إلَى الْيَوْمِ ، قَدْ جُرِّبْنَ كُلَّ التَّجارِبِ [٤]

و قـــال صلى الله عليه وسلم [٥] " أرأيتكم لَيْلَتَكــمْ هذه فإنّ رَأس مـــائة سنه منها وقول العرب " مِنَ الآن الى الغد " ، أمّا البصريون فلا يرون مجيئها لابتداء الغاية فى الزمـــان مُجْمعين على أنّ " مُنْذ "

---

[١] الإسراء : ١

[٢] التوبة :١٠٩

[٣] صحيح البخارى ٢٥٧/٢

[٤] والبيت من الطويل : مجمع الأمثال للميدانى ٢٧٢/٢ ، وشرح التسهيل لابن مالك١٣٢/٣ والمغنى ٣١٩/١ ، وأوضح المسالك ٢٢/٣ والتصريح ٨/٢ ، وشرح ابن عقيل ١٦/٣

[٥] صحيح ١البخارى ٤٠/١

تُسْـتَعْملَ مكانهـا فى الزمـان قـال سيبويه [١] و " أمّا (منْ) فَـتكـون لابـتداء الغاية فى الأماكن " ثُمّ قال " وأمّا (مُنْذُ) فتكـون ابتداء غاية الأيـام و الأحيان ، كمـا كـانت " من " فيما ذكرت لك ، ولا تدخل واحـدة منـها على صاحبتها " ، وقـد تأوّل البصريون شـواهـد الكوفييـن ، فجعـلوهـا عـلى حـذف مضاف وإقامـة المضاف إليه مقامه ففه قولـه تعالى "مـن أول يوم " أى من تأسيس أوّل يوم ، وقول النابغة :

* تُخُيِّرنَ مِنْ أزْمانِ يَومِ حليمةِ *

أي : مـن مضـى أزمان يـوم حليـمة ، وفـى تأويلهم تَعَسُّفٌ واضـح [٢] والأولى مـا ذهب إليه الكوفيون ، لكثرة شواهدهم ، ولورودهـا فى القرآن الكريـم ، واختاره ابن مـالك وقـد وردت "مـنْ " دالـه عـلى معـانى حروفٍ أُخر من ذوى جنسها ، أثبتها الكوفيـون وأنكـرهـا البصـريون رادين هذه المعـانى إلى معناها الأصـيل الحقيـقى فيهـا ، واليك ذكر الحروف التى جـاءت "من " بمعناها على رأى من يجوزوا الإنابة .

١- تـرد " مـنْ " بمعـنى " اللام " للدلالة على التعليل كقولـه تعـالى [٣] " يجْعَلُونَ أصَابعَهُمْ فى آذانهمْ من الصَّواعِقِ "

---

[١] الكتاب ٤/٢٢٦

[٢] انظر : الجنى الدانى صـ ٣٠٨، ٣٠٩

[٣] البقرة : ١٩

و قولــه (١) " مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَــى بَنــي إسْرَائِيــلَ " وقولـــه (٢) " لمـا يَهْبِطُ مـنْ خَشْيَةَ اللهِ " وقولــه (٣) "مِمّـا خَطِيئـاتِهِمْ أُغْرِقُوا " وقال الفرزدق :

يُغْضِى حَيَاءً ويُغضَى مَنْ مَهَابَتِه ∴ فَمَا يُكَلَّمُ إلاّحِينَ يَبْتَسِمُ (٤)

ومنــه " الذى أطعمهم مــن جوعٍ وآمنهم من خــوف " وقيــل : بالتضــمين فــى الفعل أى خلصهم بالإطعام من جوع ، وبالأمن مــن الخوف " (٥)

٢-تردَ منْ " بمعنى" عن " للدلاله على المجاوزة كقولــه تعــالى (٦) " الــذى أطْعَمَهُــمْ مــن جُــوعٍ " أى : عــن جــوع ، وقولــه عــز وجــل : (٧) " فَوَيْــلٌ للقــاسية قلوبهم مــن ذكــر الله " أى عـــن ذكــر الله ، وقيــل هــى فــى هــذه الآيــــة للتعليل أى : مــن أجــل ذكر الله ، لأنّــه إذا ذكــر

---

(١) المائدة : ٣٢

(٢) البقرة : ٧٤

(٣) نوح : ٢٥

(٤) والبيت من بحر البسيط ، المغنى ٣٢٠/١ ، وأوضح المسالك ٢٨/٣ ، الأغانى ٧٥/١٤ ، والمساعد ٢٤٩/٢ شرح المفصل ٥٣/٢ ، التصريح ٢٩٠/١ ، ١٠/٢ ، والأشمونى : ٦٦/٢ ، ٢١٣

(٥) المساعد ٢٤٧/٢ ، والآية من سورة قريش ٤

(٦) قريش : ٤

(٧) الزمر : ٢٢

قست قلوبُهُمْ . قال ابن هشام : [١] " وزعم ابن مالك أنَّ " من " فى نحو: " زيْدُ أفضل من عمر " للمجاوزة ، وكأنَّه قيل : جاوز زَيْدُ عمراً فى الفضل ، قال : وهو أولى من قول سيبويه وغيره : إنّها لابتداء الارتفاع فى نحو : " أفضل منه " ، وابتداء الانحطاط فى نحو " شر منه " إذ لا يقع بَعْدَها إلى " وقال "وَقَدْ يقال : لو كانت للمجاوزة لصح فى موضعها عَنْ " وقال ابن قتيبيه " [٢] و "من" مكان " عَنْ " ، يُقَالُ : " حدثنى فلان مِنْ فلان . بمعنى عنه ، و "لَهِيتُ مِنْ فُلان " بمعنى : عنه "ذ

٣- **ترد "مِنْ" بِمَعْنَى "فى"** كقوله تعالى [٣] " أَرُونِى مَاذا خَلَقُوا مِنَ الأَرْض " قال ابن هشام : [٤] " والظاهر أنَّها لبيان الجنس مثلها فى " ماننْسَخ من آية " [٥] وقال الشاعر :

---

(١) المغنى ٣٢١/١
(٢) أدب الكاتب ٣٩٧
(٣) فاطر : ٤٠
(٤) المغنى ٣٢١/١
(٥) البقرة : ١٠٦

عَسَى سَائِلٌ ذُو حَاجَةٍ، إِنْ مَنَعْتَهُ ∴ مِنَ الْيَوْمِ سُؤْلاً أَنْ يُيَسَّر فِى غَدِ[1]

قـــال المرادى : " ويحتمل أن تكـــون "مِنْ" فيه للتبعيض ، على حذف مضاف، أى : مِنْ مسئولات اليوم"

٤- تـــرد " مـــن " بمعـــنى " الـباء " كقولـــه تعـــالـــى :[2] "يَــنْظُرُونَ مِنْ طَرَفٍ خَفِيّ " أى : بطرف خفى ، وهذا قولـــه يونـــس ، كمـــا تقول العرب : ضربته مـــن السيف ، أى : بالســيف قـــال المـــرادى : [3] وهـــذا قـــول كوفى ، ويحتمل أنْ تكون لابتداء الغاية " ، وقـــال ابن مـــالك :[4] واو قيـــل إنهـــا لابتداء الغاية لكان قولاً .

٥- ترد " مِنْ " بمعنى " على " كقوله تعالـــى :[5] **"ونَصَرْنَاهُ مِـــنَ الْقَوْمِ "** أى : علـــى القـــوم فمعناهـــا الاستعلاء كـــ "على " قـــال المـــرادى : [6]، كـــذا قـــال الأخفس ، والأحسن أنْ يُضَـــمَّن الفعـــل معنى فعـــل آخـــر ، أى : منعنـــاه بالنصر من

---

[1] لم قف له على نسبة والبيت من الطويل : الجنى الدانى ٣١٤

[2] لشورى : ٤٥

[3] الجنى الدانى ٣١٤

[4] جواهر الأدب ٣٤٢

[5] الأنبياء : ٧٧

[6] الجنى الدانى صـ ٣١٣

القــوم " و " مــن " على الوجهين متعلقة بــ " نصَرَ " البتة ، فإنْ كــــان " نصر " باقيا على معناه كــانت " من " بمعنى " على " لأنَّ نَصَرَ يتعدى بــ "على " لا بــ إلا "من " وإنْ ضمن "نصر " معــنى "منع " كانت " منْ " باقية على معناها ، لأنَّ "منع " يتعدى بــــ "من " . وقــال ابن عقيل : [1] و " من " للاسعلاء ــ أثبــته الأخفش . والكوفيون وبعض اللغويين ، واستشهد له بقوله تعالى " ونَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ " وخرج على التضمين ، أى : منعناه بالنصر من القوم .

٥-تــرد "مَــنْ " بمعنى " عند " كقولــه تعالى :[2] " لَنْ تُغْنِى عَــنْهُم أَمْوَالهُم ولاَ أولاَدُهم مِنَ الله شيئا " والظــاهــر أنهَّا

فــــي الآيــة للبدل كالتى فى قوله تعالــى : [3] " أرضيتم بالحيــاةِ الدُّنيا مــن الآخرة "وقولــه عزّ وجل [4] " ولَوْ نشَاءُ لَجعلْنا منْكمْ مَلاَئكةً "

---

(1) المساعد ٢٤٨/٢

(2) آل عمران : ١٠ ، ١١٦

(3) التوبة : ٣٨

(4) الزخرف : ٦٠

اللام

ومـــن معانيهـــا التى لا يشركها فيها غيرهـــا ، الاختصاص نحو الجنة للمؤمنين ، وهو أصل معانيها ، والاستحقـــاق نحوَ النّارُ للكافرين ، وهـــو معناها العام ، لأنَّه لا يفارقها، والملك، وهـــــو أقوى أنواع الاختصاص نحـــو " المـــال لخالد ، لأنَّ مَـــنْ اســـتحق شيئاً فقد حصل لـــه بـــه نوع اختصـــاص ... [1] إلخ وغيرها من المعانى التى كثرت وتَعَدَّدَتْ حتى ذكــر لهـــا المــرادى ثلاثيــن قسمــاً ، وقــد أفردناهـــا بالـــتأليـــف [2] ، والمقصـــود هـــنـــا ذكر الحروف التى وردت "اللام" بمعناها ونص عليها الكوفيين ومـــن وافقهـــم وهـــاك هـــى :

١- تـــردِ " الـــــلام " بمعـــنـــى" فـــى" للظرفيـــة كقولـــه تعالـــى [3] " وَنَضَعُ الْمَوازِينَ القِسْطَ ، لِيَوْمِ القِيامـــةِ

---

[1] انظر : المغنى ٢٠٧/١ وما بعدها والجنى الدّانى صـ ٩٥ ، وما بعدها ، والمساعد ٢٥٦/٢ : ٢٦٠ ، والأزهية للهروى صـ ٢٨٧ ىوجواهر الأدب صـ ٧٥ ، ٧٦ ورصف المبانى للمالقى ٢٩٧ وما بعدها

[2] كتابنا "اللم" المفردة فى ضوء أساليب القرآن وكلام العرب

[3] الأنبياء : ٤٧

" أي في يـوم القيامة و قولـه تعالـى (١) " يالَيتَنِي قَدَّمتُ لِحَيَـاتِي " أي : فـي حياتي ، والذي يظهر لي أنها ها هنا للتعليل أي لأجل حياتي في الآخرة .

٢- تـرد " الـلام " بمعنى " إلـى " لانتهاء الغاية كقولـه تعـالـى : (٢) "وسُقْنَاه لِبلَدٍ ميّت " أي : إلى بلدٍ ميتٍ ، وقـول عـزّ وجـلّ ، (٣) " بـأنَّ ربّكَ أوْحي لها " أي إليها ، قال المرادي : "وهـو كثير " ومنـه قولـه تعالـى (٤) "كُلٌّ يَجْري لأجَلٍ مُسَمّى "

٣-ترد اللام بمعنى " علـى " للاستعلاء الحقيقي كقولـه تعالى : (٥) " ويَخِرُّون للأذقان " و قولـه عزّ وجل (٦) " دَعَانا لِجَنْبِه " وقولـه جلّ شأنه (٧) "وتَلّه لِلْجَبِين " وقول الشاعر :

ضَمَمْتُ إليْه بالسِّنَانِ قَمِيصَهُ ∴ فَخَرَّ صَرِيعًا لليَدَيْنِ و لِلفَمِ (٨)

---

(١) الفجر : ٢١
(٢) الأعراف :٥٧
(٣) الزلزلة : ٥
(٤) الرعد : ٢
(٥) الإسراء : ١٠٧ ، ١٠٩
(٦) يونس : ١٢
(٧) الصافات : ١٠٣
(٨) قائله : جابر بن جني أو الأشعث والبيت من الطويل ، الجنى الداني : ١٠١ ، والمغنى ٢١٢/١ ، وأدب الكاتب ٤٠١ والأزهية ٢٩٩

أى : على اليدين والفم ، والمجازى : كقولــه تعالـــى : (١) وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا "أى : فعليها ، وكقوله صلى الله عليه وسلم لعائشة رضى الله عنها " اشترطى لهم الولاء " أى عليهم ، وقـــال ابن هشام : (٢) وقال النحاس : المعنى من أجلهم ، قال : ولا نعرف فى العربية "لهم" بمعنى عليهم" .

٤- تـــرد " الـــلام " بمعنى "مِنْ" نحو : سَمِعْتُ له صُرَاخاً " أى : منه وقال جرير:

لنا الفضل فى الدّنيا وأنفك رَاغِمُ ∴ ونَحْنُ لَكُمْ يَوْمَ القيامةِ ،أَفْضَلُ (٣)

أى : ونحن منكم .

٥-ترد " للام " بمعنى "مع" للمصاحبه كقول متمم بن نويره :

فَلَمّا تَفرَّقْنا كَأَنّى ومَالِكًا ∴ لِطُولِ اجْتِمَاعٍ لَمْ نَبِتْ لَيْلَةً مَعاً (٤)

---

(١) الإسراء : ٧

(٢) المغنى ٢١٢/١

(٣) والبيت من الطويل ، راغم أى : لاصيق بالبرّغام ، وهو التراب كناية عن الذلة والاحتقار ، المغنى ٢١٣/١ ، والجنى الدانى ١٠٢ ، والمساعد ٢٥٨/٢ وديوانه : ١٤٣

(٤) والبيت من الطويل ، المغنى ٢١٣/١ ، وشرح شواهده للسيوطى ٥٦٥ ، وشرح اختيارات المفضل ١١٧٧ ، والجنى الدانى ١٠١ ، والأمانى الشجرية : ٢٧١/٢، والأشمونى ٢١٨/٢

أى مع طول اجتماع ، وأنشد بعضهم بيت متمم على أنَّ اللام بمعنى "بعد"

٦- **تــرد الــلام بمعــنى "بعد" كقوله تعالى :[١] " أَقِمْ الصَّــلاَةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ " أى : بَعْدَ دلوك الشمس ، قيــل وعــليه الأثــر النبوى[٢] " صوموا لرؤيته** وأفطــروا لرويــته " أى : بَعْــد رؤيته ، وجعل ابن الشجرى[٣] منه قول متمم بن نويرة السابق.

٧- **تــرد "الــلام " بمعنى "عند" كقراءة الْجَحْدرِى[٤]" بَلْ كَذَّبــــوا بِالْحَــقِّ لِمَا جــاءَهُمْ "** بالتخفيف قال ابن عقيــل :[٥]" قــال أبو الفتح : أى : عند مجيئه إيّاهم نحو :كتب لخمس خلون " .

---

[١] الإسراء : ٧٨

[٢] رواه الينخان والترمذى عن أبى هريرة ، والنسائى عن ابن عباس ، والطبرانى فى الكبير عن البراء

[٣] الأمانى الشجرية صـ ٢٧١

[٤] ق : ٥

[٥] المساعد ٢٥٨/٢ ، وانظر : المحتسب ٣٣١/٢ ، ٣٣٢

الكــــاف

ومرادنا هنا الكاف الحرفية غير الزائدة ومعناها التشبيه كقولــك : زَيْــدٌ كالأســد ، قال المرادى :[1] " ولم يثبت أكثرهم لها غير هذا المعنى "

وقــد وردت الكاف بمعانى حروف أُخر مِمَّا يدل ظاهره على إنابــتها عن غيرها من حروف الجر . : وإليك المعانى التى دلت عليها الكــاف مؤدية معانى غيرها :

١- وردت الكــاف بمعـنى" الــلام " لــلدلالة على التعليل كقولــه تعــالى[2] " وَاذْكُـرُوه كَمَا هَدَاكُمْ " أى لهدايته إياكم ، وقَدْ ادّعَى قَــوْمٌ أنَّ " الكــاف " فى هــذه الآية الكريمة للتشبيه ، مدعيــن أنَّ المقصــود بقولــــه سبحـــانه " واذكروه " طلب الهدايــة ، فوضع الخاص – وهو طلب الذكر – موضع العام الــذى هــو طــلب الهداية ، كأنّه قيل : فاهتدوا هداية مماثلة

---

[1] الجنى الدانى صـ ٨٤ ، والمغنى ١٧١/١ جواهر الأدب ٥٣

[2] البقرة : ١٩٨

لهدايــته إياكم " [1] وقال ابن مالك : [2] " وورودها للتعليل كثير كقولــه تعالــى : " واذكــروه كمــا هداكم " وقولــه تعــالى : [3] " وَىْ كَأَنَّه لا يُفْلِحُ الْكَافِرُن " أى أعجب لأنَّه لا يفــلح الكافــرون " قــال المرادى : [4] " وكــذا قدره ابن برهــام . وحكى سيبويه : كما أنَّه لا يَعْلَمُ فتجاوز اللهُ عَنْهُ " ، والتقدير : لأنَّه لا يَعْلَمُ فتجاوز الله عنه " ، وقول الشاعر :

وَطَرْفُكَ إمَّا جِئْتَــنَا فَاحْبِسَنَّه ∴ كما يَحْسِبُوا أنَّ الهوى حَيْثُ تَنْظُرُ [5]

فالكــاف فيه للتعليل و"مــا " الكافــه ، ونصب الفعــل بهــا تشــبيهاً بــ " كى " فى المعنى ، وزعم الفارسى أنَّ الأصل " كيما " فحذفت " الياء " قال ابن مــالك :[6] هذا تكلف " وقال تعــالى [7] " كَمَــا أَرْسَلْنَا فيكم رَسُولا " قال الأخفش : " أى لأجــل إرســالى فيكــم رسولا منكم فاذكرونى [8] " ونقل

---

[1] المغنى ١٧٦/١
[2] الجنى الدانى ٨٤
[3] القصص : ٨٢
[4] الجنى الدانى صـ ٨٤
[5] قائله : جميل ، والبيت من الطويل : المغنى ١٧٧/١ ، الإيضاف ٥٨٦/٢، والعينى ٤٠٧/٤ والأشمونى ٢٨١/٣
[6] المغنى ١٧٧/١
[7] البقرة : ١٥١
[8] الجنى الدانى صـ ٨٤

سيبويه عن العرب قولهم [1] " انتظرني كما آتيك وارقبني كما ألحقك "

٢- وردت " الكاف " بمعنى "على" للدلالة على الاستعلاء ذكـــره الأخفـــش والكوفيون [2] حكى الأخفش عن بعض العرب أنـــه قيل لـــه كيف أصبحت ؟ فـــال: كخير. يريد : علـــى خير ، وعلى هذا خَرَّج الأخفش قولهم : " كُنْ كما أنت . أي : كن على ما أنت عليه ، وقيـــل : المعنى بخير " وقيل : للتشـــبيه على حذف مضاف ، أيْ : كصاحب خير ، وردّه إلى التشبيه أولى من ادّعاء معنى ، لم يثبت ، قاله المرادي ، وقـــال [3] " وأمّا قولهم : كن كما أنت ففيه أربعة أوجهٍ :

الأول : أنَّ " الكاف " للتشبيه و"ما" زائدة ، والأصل : كُنْ كـــأنت ، أي : كُـــنْ مماثلاً الآن لنفسك قبل ، ولا ينكر تشبيه الشيء بنفسه فـــي حالتين مختلفتين ، وعلى هذا فـــ "أنت" في موضـــع جر بالكـــاف ، وقـــد ورد دخـــول " كاف " التشبيه علـــى " أنت " وأخوته ٠

---

(١) الكتاب ١١٦/٣

(٢) المغنى ١٧٧/١ ، والجنى الداني صـ ٨٥

(٣) الجنى الداني صـ ٨٥ ، والمغنى ١٧٧/١ ، ١٧٨

الثانى : أن تكون " ما " كافه للكاف عن العمل ، و " أنت " مبتدأ ، وخبره محذوف . أى : كما أنت عليه ، أو كائن ٠

الثالث : أن تكون "ما " كافه أيضاً ، و مهيئة لدخول الكاف على الجملة الفعلية ، وأنت مرفوع بفعل مُقَدّر أى : كما كنت ، فَلَمّا حذف الفعل انفصل الضمير ٠

الرابع : أن تكون " ما " موصولة و " أنت . خبر مبتدأ محذوف أى : كالذى هو أنت " ٠ وقد قيل بذلك فى قوله تعالى :" اجْعَلْ لَنَا إلهاً كَمَا لَهُمْ آلهة " أى كالذى هو لهم آلهة .(١)

٣- أن تكون الكاف بمعنى " الباء " وقيل به فى قول العجاج وقد قيل له : كيف اصبحت ؟ فقال : كخير .. أى : بخير ، ويحتمل أن تكون بمعنى " على " أيضا كما ذكرناه قبل ٠

---

(١) المغنى ١٧٧/١

متى

والمشهورُ فيها أنَّها اسم من الظروف [١] ، تكون شرطاً كقولك ، متى تُسَافر. أسافر معك ، وكقول الشاعر :

أنا ابْنُ جَلاَ وطَلاَّع الثَّنَايَا ∴ مَتَى أَضَعِ الْعِمَامَةَ تَعْرِفُونى [٢]

واستفهاماً كقولك : مَتَى تُسَافِر ، قال الله عَزَّ وجلَ [٣] : " متى نصر الله " ؟ وإنّما ذكرتها هنا لأنَّها تُستَعْمَلُ حرف جَرّ فى لغة هذيل فتجر الاسم بها ، واستعمالها حرف جَرّ بمعنى "من " قال الشاعر :

شَرِبْنَ بِمَاءِ الْبَحْرِ ثُمَّ تَرفَّعَتْ ∴ مَتَى لُجَجٍ خُضْرٍ لَهُنَّ نَئِيج [٤]

أى : مـــن لجج ، ومن كلامهم : أخرجها مَتى كمه" أى : من كَمِّه .

---

[١] الجنى الدانى ٥٠٥ ، والمغنى ٣٣٤/١ ، والأزهية ٢٠٩

[٢] قائله سحيم نب وثيل من الوافر : الكتاب ٢٠٧/٣ ، والكامل ١٢٨ ومجالس ثعلب ٢١٢ ، أمالي القالي ٢٤١٦/١، وشرح المفصل ٦١/١ المقرب ٣١٠.

[٣] البقرة :٢١٤ .

[٤] قائله أبو ذؤيب الهذلي والبيت من ت الطويل ، المغني ٣٣٥/١ ، والجني الداني ٥٠٥ وديوان الهذليين ٥٢/١ ، وشرح شواهد المغنى ، والخصائص ٨٥/٢ والأزهية ٢٠٩ والأمالي الشجرية ٢٧٠/٢ ، والأشموني ٢٠٥/٢ ، ولوضح المسالك٦٣/٣ والهمع ٣٤/٢ .

وترد أَيْضاً بمعنى "في" كما في كلام بعْضِهِمْ : " وضعته مَتَى كُمِّي " أي : في كُمِّي .[1]

والمشـــهور عـــنـــد الجمهـــور أنّها اسم من الظروف يكون استفهاماً ، وشرطاً على ما ذكرنا ، وتكون اسماً مرادفاً للوسط نحـــو " أخرجها متى كُمِّه " أي : وسط عند بَعْضِهِمْ منهم ابن سيده قال في قول الشاعر

مَتَى لُجَجٍ خُضْرٍ ،لَهُنَّ نَئِيج

أي : وسط لجج [2]. والذى حكاه الكسائى عـــن العرب " أخـــرجه مِنْ متى كمه " أي : مـــن و سط " [3] وعليه فلا تكـــــون بمعـــنى وسط إلاّ إذا دخلت عليها " مِنْ " وإلا فهى بمعنى "من" أو "في إذا لم تدخل عليها " من "

---

(1) المغني ٣٣٤/١ ، ٣٣٥ .
(2) المغنى ٣٣٥/١ والأمالي الشجرية ٢٧٠/٢ .
(3) الأمالي الشجرية ٢٧٠/٢.

كَـــيْ

مـــن استعمالات " كَيْ " أنْ تكون حَرْفَ جَرّ بمعنى " لام التعليل " ولاَ تَجُرّ إلاّ ثلاثة أشياء (١) :

أحدها : " ما " الاستفهامية ، يقولون فى السؤال عَنْ عِلّة الشيء " كَيْمَهْ " بمعنى " لِمَهْ " والهـاء للسكت فـ " كـــى" حَرْف تَعْليلٍ و جَرّ ، و "مـــا" الاستفهامية اسم مبنى على السكون فى محل جَرّ ، والجار والمجــرور متعلق بِفِعْل محذوف ، أو مذكور نحـــو " كَيْمَ غَضبْتَ ؟ أى : لِـــمَ غَضبْتَ ، ويتعين هاهنا أنْ تكون جارة ؛ إذ لا فعل تنصبه حتى تكون ناصبة ٠

الثانى :"ما" المصدرية وصلتها كقوله:

إذا أَنْتَ لَمْ تَنْفَع فَضُرّ فإنّما ∴ يُرَادُ الفتى كَيْمَا يَضُرُّ ويَنْفَعُ(٢)

فـــ " كـــى" حـــرف تعليل وجَرّ بمعنى الام ، والمصدر المؤول مـــن " ما "والفعل فى محل جَرّ بـــ " كى " والتقدير للضُرّ والنفـــع

(١) المغنى ١٨٢/١ ، والجني الداني ٢٦١ ، ٢٦٢٣ ، وأوضح المسالك ٩/٣: ١٢.

(٢) قالـــه النابغة الجعدي ، ونسب إلى النابغـــة الذبياني ، وقيل : قيس بن الخطيم ، والبيت منن الطويل ، الجني الداني ٢٦٢ ، والمغنى ١٨٢/١ ، وأوضح المسالك ١٠/٣ ، الخزانة ٩١/٣ وشرح شواهد المغني ٥٠٧ ، والعيني / والتصريح / والأشموني .

قالــه الأخفش ، وقيل " مـــا " كافة لــ " كى " عـــن العمل [١] ، وعليه فالمصدر المؤول بواسطة " كى " لا " ما ".

الـــثالث : " أنْ " المصدرية وصلتها ، سواء أكانت " أنْ المصدرية ظاهرة : كقوله :

أَكُلَّ النَّاسِ أَصْبَحْتَ مَانِحاً ∴ لِسَانَكَ كَيْمَا أنْ تَغُرَّ وتَخْدَعَا [٢]

وظهور " أنْ " المصدرية بَعْدَ "كَىْ " دليل على أمرين :

الأول : أنَّ " كَىْ " هاهـــنا حـــرف تعـــليل وجَرّ ، وليست هاهنا مصدرية.

الثانى : أنْ "كى" التعليلية تُقَدّر بَعْدَها " أنْ " إذا لم تكن موجودةً ، لأنَّ ظهورهـــا هاهنا دليل على أنَّ هذا الموضع محل لها . أمْ مُقَدّرة نحو " جئت كَىْ أُسَلِّمَ عليك " إذا قَدَّرْت " أَنْ " بعدها فـــ " كى " حرف تعليل وجَرّ ، والمصدر المنسبك من " أنْ " المقدرة والفعل فى محـــل جَـــرّ بــــ " كَىْ " وإذا قَـــدّرت " اللام " قبلها تعين أنْ تكون مصدرية ناصبة للمضارع بَعْدَها ، والمصدر المنسك من " كـــى " و الفعـــل فى محل جَرّ بــــ " اللام " المقدرة ، والأولى هاهنا أنْ تكون

---

[١] أوضح المسالك ٣/١٠ .

[٢] قائله جميل بن معمر العذري ، والبيت من الطويل : الجني الداني ٢٦٢ ، والمغني ١/١٨٣ ، وأوضح المسالك ٣/١١ وشرح المفغصل ٩/١٤ والأشموني ٢ /٢٠٤ .

مصدريه لأنّ الأصل عدم الإضمار ، وحذف حرف الجر مقيس قبل الحرف المصدرى : وقولك : جئتُ كى لأسلم عليك حيث وقعت قبل اللام " كى " فـ " كى " حرف تعليل وجرّ ، و"اللام " مؤكدة بـ "كى " والمضارع " أُسلّم " منصوب "بأنْ " مضمرة بعدَها ، ولا يُدّعى أنَّ " كى " هاهنا حرف مصدرى وأنَّها الناصبة للمضارع ، لأنَّ الفصل بين الفعل وناصبه بلام الجرّ غيْر جائز .

وقولك : " جئتُ لِكَى أُسلِّمَ عليك " يتعين فيه أنْ تكون " كى " مصدرية لدخول لام الجر عليها ، و " كى " والفعل فى تأويل مصدر فى محل جرّ بـ " اللام " و التقدر فى المثال جئتُ للتسليم عليك قال الله تعالى (١) "لكَيلا تَأْسَوْا على ما فاتكم " وذلك مشروط بألاّ تقع بعدها " أنْ " وحينئذٍ يتعين أنْ تكون " كى " مصدرية ناصبها للمضارع بنفسها ، لأنهَّ لا يجمع بين حرفَىْ جرّ فى فصيح الكلام ، ولا ضرورة تدعو إلى جعْل الثانى مؤكدا .

أما قولك : " جئت لكى أنْ أسلم عليك " حيث وقعت " كى " بين " اللام " و" أنْ " فتحتمل أنْ تكون " كى " فيه مصدرية مؤكدة بـ " أنْ " وأنْ تكونَ تعليلية جارة ، وهو الأرجح حتى لا يتقدم الفرع على الأصل إذا قلنا بأنَّها مصدرية .

(١) الحديد : ٢٣

وادّعاء الكوفيين أنّها لا تكون إلاّ ناصبة للمضارع [(١)] ، وأنّها لا تكون جارّة مردود بقول العرب فى السؤل عن علة الشيء " كَمَيْه بمعنى "لِمَه " إذا لا يوجـد فى الكلام مضارع تنصبه ،وقد جرت "ما "الاستفهامية بدليل حذف إلفها ، ولا تحذف إلاّ مع الجار " ويقول الشاعر :

فَلَوْقَدْتُ نَارِى كَىْ لُيُبصِرَضَوْؤُها ∴ وَأَخْرَجْتُ كَلْبِى وَ هَو فِي الْبَيْتْ دَاخِلُهْ [(٢)]

فـــ " كى "هاهنا لا يمكن أنْ تكون ناصبة ، لأنّ " لام " الجر لا تفصل بين الفعل وناصبه .

أمّا ادعاؤهم أنّ الأصل فى " كيمه " كى تَفْعَلَ ماذا فـــ "ما" الاستفهامية منصـــوبة بـــالفعل المقـــدر ، فيـــلزمهم كثرة الحذف ، وإخراج "ما" الاســـتفهامية عن الصدر ، وحذف ألفها في غير الجر ، وحذف الفعل المنصوب مع بقاء عامل النصب وكُلّ ذلك لَمْ يثبت .[(٣)]

ومـــا ادّعاه الاخفش من أنّها – أبداً " حرف تعليل وجر والنصب بعدها بـــ " أن" مضمرة أو ظاهرة فمردود بقولـــه تعالى " لكيلا تأســـوا على ما فاتكم " فـــ " كي" ناصبة ، وليست تعليلية جارة

[(١)] الجني الداني ٢٦٢/٢

[(٢)] قائله حاتم الطائي وقيل النمرة والبيت من الطويل ، المغني ٣٨٠ وشرح تالمفصل ٤٠٦/٤ .

[(٣)] المغنى ١٨٣/١ بتصرف

مؤكـدة لـــ " للام" لأنه لا يجوز اجتماع حرفي جر في فصيح الكلام ، ولا ضرورة تدعو إلى جعل الثاني مؤكداً . (١)

قُصارى القــول : " كــي" يتعين أن تكــون تعليلية جارة في المواضــع الــتي ذكــرتها قبــل ، ويتعين أن تكــون حرف مصدري ونصب إذا سبقت بــ " اللام " وليس بعدهــا " أن " وتحتمل الوجهين في "نحو" جئت كي أسلم عليك " واعتبارها مصــدرية هــنــا أولـــى لأنَّ الأصــل عــدم الإضمار ، وتحتمــلهمــا أيضاً فــي نحــو قولك " جئت لكي أن أسلــم عــليك " واعتــبار هاهنا حــرف تعليل وجر أولى لئلا يتقدم الفرع علــى الأصــل إن اعتبرتها مصدرية ، لأنّ " أن " أمُ الــباب وأصــل أخواتها ولمباشرتها الفعل فهي أحق بالعمل ،ولأنَّ تــأكيد الجــار بجــارٍ أسهل من تأكيد حرف مصدري بحرف مصدري .

(١) شرح الكافيه للرضى ٢/٢٣٩

حتّى

وهـــي حرف لـــه عند البصريين **ثلاثـــة أقســـام : تكـــون حـــرف جـــــر ، وحرف عطف** (١) **، وحرف ابتداء** (٢) **. وزاد الكوفيون قسماً رابعـــاً ، وهـــو أنْ تكون حرف نصب ، ينصب الفعل المضارع** ، وزاد بعض النحويين قسمـــاً خامساً وهـــو أن تكـــون حتى بمعنى : " الفـــاء " (٣) والذي يعْنينا هـــنا من أقسامها هـــو حتى الجارة أي التي تكون حرف جر .

و"حـــتّى" الجـــارة معناها انتهـــاء الغاية فهي بمنزلة " إلـــى" معنـــى وعمـــلاً ،وهي جارة بنفسها عنـــد البصريين ، ولنيابتها عـــن " إلى" عـــند الفَرّاء إلاّ أنّ ثمة فرقاً بينها وبين إلى وهو أن " حتى " تدخل الـــثاني فيما دخل فيه الأول من المعنى ، ويكون ما بعدها جزءاً مِمّا قبـــلها ينتهي الأمر به ، قال الله عَزّ وجَـــلّ (٤) " سلامُُ هي حتى

---

(١) نحو قدم الحجاج حتى المشاة ، ورأيت الحجاج حتى المشاة ، ومررت بالحجاج حتى المشاة ،وحتى العاطفة تشترك فى الإعراب والحكم ، وانظر الجنى الدّانى صـ ٥٤٦ : ٤٥٣ والمغنى ١/١٢٧ ، ١٢٨

(٢) أى تُبْتَدأ بعده الجمل ؛ أى تُستأنف ، فيدخل على الجمل الآسمية كقوله :
فواعجباً حَتّى كُلَيبُ تسبنى ** كأنَّ أباها نهْشَلُ أو مجاشعُ
أو الفعليه التى فعلها مضارع كقوله تعالى : : حتى يقولُ الرسول "برفع" يقول .
أو ماض نحو " حَتّى عفوا وقالوا " المغنى ١/١٢٨ ، ١/١٢٩ والجنى الدّاني ٥٥٢ ، وفيه والجملة بعدها لامحل لها من الإعراب

(٣) انظر الجنى الدّانى صـ ٥٥٧

(٤) القدر : ٥

مطـــلع الفجــر " وتقول : قرأت الكتاب حتى آخر صفحة منه " وإنما كان ما بعدها جزءاً مما قبلها ، لأنّها لا تستعمل إلا في اختصاص ما تقـــع عليه ، إما لعزته أو حقارته كقولك : أكرمت الرجال ، فالرجال عند المخاطبين معينون معرفون ، وفيهم العزيز والدنيء ، فإذا قلت بعد ذلك : حتى بكر فتخصيصه بالذكر إما لأنّه أعلاهم شأناً أو أحطهم درجـــةً ، وبذلـــك أوضـــحت أنَّ الإكرام قـــد انتهى إلى العظماء أو الحقراء..... فمـــا بعدهـــا داخل فـــي حكم ما قبلها ، فهو بعض منه ، ومن ثم لا يذكر بعدهـــا إلا مـــا يَشْتَمِل عليـــه لفظ الأول (١) ، قـــال المـــبرد (٢) " وتدخـــل الثانـــي فيما دخل فيه الأول من المعـــنى لأنّ معناهـــا إذا خفضت ، كمعناهـــا إذا نسَق بهـــا فلذلك خالفت " إلى " ، واختاره ابن السراج وأبـــو علـــي وأكثر المتأخرين (٣) ، وقـــال ابن مالك (٤) " حَتّى " لانتهـــاء العمل بمجرورهـــا أو عنده ، و مجرورها إما بعض لما قبلها وإما كبعض ولا يلزم كونه آخر جزء أو ملاقي أخر جزء خلافاً لزاعم ذلك ".

فإذا قلت : " أكرمت القوم حتى خالدٍ " يجوز أن يكون مُكْرَماً انتهى الإكـــرام بـــه ويجوز أن يكون غير مُكْرَم انتهى الإكرام عنده ، وقد استدل ابن مالك على ما ذهب إليه بقول الشاعر:

---

(١) شرح المفصل ١٦/٨

(٢) المقتضب ٣٧/٢

(٣) الجنى الدّانى صـ ٥٤٥

(٤) التسهيل : ١٤٦

عَيَّنَتْ لَيْلَةً ،فَمَا زِلْتُ حَتَّى ∴ نِصفِهَا رَاجياً ، فَعُدْتُ يَؤوساً (١)

قال أبو حيان (٢) : "ولا حجة في هذا البيت لأنه لم يتقدم "حتى" ما يكــون ما بعدها جزءاً منه ، ولا ملاقياً لآخر جزءٍ منه فلو صرح في الجمــلــة بذكــر "الليلة" فقال فما زلت راجياً وصلها تلك الليلة حتى نصــفها كــان حُجةً " وقد صرح سيبويه بأنَّ مـــا بعدهــا داخل في مـــا قبلها ولابد " .

ولاتجــر مــن الأسماء إلا الاسم الصريح أو المؤول بالصريح فمثال الصــريح قولـــه تعالى " سلامٌ هِى حَتىَ مَطْلَعِ الفَجْرِ" ومثال المؤول بالصـــريح قولـــه تعالى " وزلزلوا حتى يقول الرسولُ والذين آمنوا معـــه " فــ"أنْ " المقدرة ، والفعل " يقول " في تأويل مصدر مجرور بـــ "حتى" وقد ادَّعى الكسائي أن "حتى" لا تكون في كلام العرب حـــرف جر وأن الجر بعدها بـــ إلى "المقدرة ، فتقديره فى نحو قوله تعـــالى : " ســـلام هى حتى مطلع الفجر " أى حتى انتهى إلى مطلع الفجر ، ويرده أنّ فيه حذف الجار مع بقاء عمله وهو في غاية القلة ، فكيـــف يكـــون مطرداً بعـــد " حتى " ، ونصب المضارع بعدها في

(١) لم أقف له على نسبه ، وهو من الخفيف ، وشرح شواهده : ٣٧٠ ، والهمع ٢/ ٢٣ ، والعينى ٢٦٧/٣ ، والجنى الدانى صـ ٥٤٤

(٢) الجنى الدّنى : ٥٤٤ ، ٥٤٥

نحـــو : " ســـرت حتى أدخل البلد بأن مضمرة بعدها لا بها خلافاً للكوفيين ، وما ذهبوا إليه ليس بشيء لأن الأصل عدم خروج الشيء عـــن أصله ، واعتقاد بقائه علـــى أصله أولى مـــا لم يضطر إلـــى اعـــتقاد خروجه عن ذلك الأصل ، قـــال الرضي [1] وفيما تأول البصـــريون مـــن تأويل الناصب بعد " حتى" الجارة حتى تبقى على أصلها من الجر مندوحة عن اعتقاد خروجها عن أصلها ولا سيما قد ثبت تقدير الناصب في نحو قولها :

لَلُبسُ عَبَاءَةٍ وتَقَرَّ عَيْني ∴ أحبُ إلّي مِنْ لُبْسِ الشُّفُوفِ [2]

على أنَّ "لام" الجحود ليست بمعنى " كي " ولا بمعنى " أن" و" حـــتى " للغاية ليست بمعنى " أنْ " ، فكيف تحملان في النصب على ما ليستا بمعناه." .

ولـــ " حـــتـــى " الداخـــلـــة علـــى المضـــارع المنصوب ثلاثـــة معـــانٍ ،

---

(١) شرح كافية ابن الحاجب ٢٤٠/٢

(٢) قائله : ميسون بنت بحدل ، والبيت من الوافر : الكتاب ٤٥/٣ ، والمقتضب ٢/ ٢٧، والأمالي الشجرية ٢٨٠/١ ، وشرح المفصل ٢٥/٧ ، والمغنى ٢٦٧/١ ، والأشموني ٣١٣/٣

الأول : انـتهاء الغايـة بمعنى " إلى " كقولـه تعالـى [١] " لَن نَبْرحَ عليـه عَاكِفِينَ حَتَّـى يَرْجِع إلينا مُوسى " أي : حتى رجوع موسى إلينا .

الثاني : التعليل " بمعنى " كي" نحو لأَسيرنَّ حَتَّى أَدْخُلَ المدينة" وقولـه تعالى [٢] " ولاَ يَزَالونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتىَّ يَرُدُّوكُمْ" "وقوله [٣]"هـم الذيـن يقولون لا تنفقوا على منْ عِندَ رَسُولِ اللهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا "وكقولك : أسلم حتى تدخل الجنة ".

قـال المرادى [٤] : وعلامة كونها للغاية أن يحسن في موضعها " إلى أن " وعلامـة كونهـا للتعليل أن يحسن في موضعها كي " وزاد ابن مالك فـي التسهيل [٥] معنى ثالثاً وهو أن تكون بمعنى " إلا أن " فتكون بمعنى الاستثناء المنقطع كقول الشاعر

لَيْسَ الْعَطاءُ مِنَ الْفُضُولِ سَمَاحةً ∴ حَتَّى تَجُودَ ، وما لديك قليل [٦]

---

(١) طه: ٩١
(٢) البقرة : ٢١٧
(٣) المنافقون : ٧
(٤) الجنى الدانى : ٥٥٤
(٥) التسهيل : ٢٣٠ ، وانظر الجنى الدانى صـ ٥٥٤
(٦) قائله : المقنع الكندى ، والبيت من الكامل . الجنى الدانى صـ ٥٥٥ ، والمغنى ١/ ٣٤ ، وشرح شواهده ٣٧٢ ، وشرح ديوان الحماسة ١٧٣٤ ، ١٧٣٥ ، الهمع ٩/٢

ولا حجـة فـي البيت لإمكـان جعلها فيه بمعنى " إلى " أمـا قول سيبويه " والله لا أفعـل كـذا إلا أن تَفْعَلَ " والمعنى حتـى أن تفعل ، ليس نصاً في أنها إذا انتصب مـا بعدها بمعنى "إلا أن " لأنَّ ذلك تفسير معنى ، قاله المرادي . [١]

---

[١] الجنى الدّانى صـ ٥٥٥

الواو

ومرادنا بالواو – هاهنا – الواو التي ينجر الاسم بَعْدَها ، وقد أطلق عليها النحويون .واو "رُبَّ" كقول الشاعر :

وَلَيْلٍ كَمَوْجِ البَحْرِ أَرْخى سُدُولَهُ ∴ عَلَيَّ بأَنْوَاعِ الْهُمُومِ لِيَبْتَلِى[1]

وهــذه الواو لا تدخــل إلا على منكر ، ولا تتعلق إلاَّ بمُؤخر [2] ، فقــد ذهب المبرد والكوفيون إلى أنها حرف جر ، لنيابتها عن "رُبَّ" وأنَّ الجر بها لا بــ " رُبّ " المحذوفة [3] واستدل المبرد على ذلك بافتتــاح القصائد بهــا كقوله :

*وَقَاتِمِ الأَعْمَاقِ ، خَاوِى المُخْتَرَقْ [4] *

والصـــحيح أنها واو العطف ، وأنّ الجر بــ "رُبَّ" المحذوفة ، لا بـــالواو ولا حجة للمبرد في افتتاح القصائد بها ، على أنها غير

---

[1] قاله امرؤ القيس ، والبيت من الطويل ، المغني ٣٦١/١ ، ومجالس العلماء للزجاجي ٢٧٣ ، شذور الذهب ٣٢١ ، والتصريح ٢٢/٢ ، والأشموني ٢٣٣/٢ .

[2] المغني ٣٦١/١ .

[3] الجنى الداني صـ١٤٥ ، والمغنى ٣٦١/١ .

[4] قائله رؤية ، والبيت من الرجز ، المغني ٣٦١/١ ، وشرح شواهده ٧٨٢ والكتاب ٢١٠/٤ ، والخصائص ٢٦٤/١ ، وشرح المفصل ١١٨/٢ .

عاطفـــة ، لإمكان إسقاط الراوي شيئاً من أولها ، ولإمكان عطفها على بعض ما في نفس الشاعر [1] .

ويوضـــح كونها عاطفة أنّ واو العطف لا تدخل عليها كما تدخل على واو القسم كما في قول الشاعر :

وَوَاللهِ لَولاَ تَمْرُهُ مَا حَبَبْتُهُ ∴ وَلاَ كَانَ أَدْنَى من عُبَيْدٍ ومُشْرِقَة [2] .

ولأنّ " الواو " أسوة "الفاء" و"بل" ولم يختلفوا في أنّ الجر بعدهما بـــ"رُبَّ" المحذوفـــة [3]، وإنمـــا عمـــلت محذوفة ولتقويتها بالحـــرف الـــدّال عـــليها فالصـــحيح أنَّ " الواو" نائبة عن رُبَّ المحذوفـــة وأنّ العمل بـــ " رُب " لا بها ، وأنها واو العطف ، بدليل أنَّ واو العطف لا تدخل عليها ، كما دخلت على واو القسم .

وقـــد ذكـــر ابن هشـــام أنّ الواو تأتي بمعنى "باء" الجر كقولهم : أَنْتَ أَعْلَمُ ومَالكَ ، و"بعتُ الشـــاه شـــاة ودرهماً ، وبمعـــنى "لام" التعـــليل قـــال [4] : قالـــه الخارزنجي ، وحمل عليـــه الواوات الداخلـــة على الأفعال المنصوبة في

---

[1] الجني الداني صـ١٥٤ ، ١٥٥ .

[2] قائله :غيلان بن شجاع ، والبيت من الطويل المغني ٣٦١/١ ، والخصائص ٢/ ٢٢٠ ، وشرح المفصل ١٣٨/٧ ، اللسان (حبب) .

[3] الجني الداني صـ ١٥٤ .

[4] المغني ٣٥٨/١ ، ٣٥٩ .

قوله تعالى [1] " أو يوبِقْهُنَّ بِمَا كَسبُوا ويَعْفُ عـن كثير وَيعْلمُ الذين... [2] " أمْ حَسبتم أنْ تدخُلُوا الَجنّة ولما يَعْلَم الله الذين جَاهَدُوا مِنْكـم ، وَيَعْلَـمَ الصابريـن [3] " يَالَيْتنَا نُـردُّ ولا نَكُذِّبَ بآيات رَبِّنَا وَنَكُونَ " والصواب أن " الواو " فيهن للمعية .

---

(1) الشورى : ٣٤.
(2) آل عمران : ١٤٢ .
(3) الأنعام : ٢٧ .

مُذ وَ مُنْذ

مختـــلف في أصلهما ، فأما "مُذ" فقيل : هي حَرْفٌ قائمٌ بنفســـه ، وقيل : الأصل فيها"مُنذُ" بدليل أنّكَ لو سميت بها وصـــغرتها وجمعتهـــا لقلْت " مُنَيْذ " و"أمناذ" والتصغير والجمـــع ممّـــا يـــردّان الأشياء إلى أصولها [١] وبدليل رجوعهـــم إلى ضم ذال "مُذُ " عند ملاقاة الساكن نحو "مُذُ اليـــوم) ولولا أنّ الأصل الضم لكسروا ، ولأنّ بعضـــهم يقـــول : " مُذُ زمن طويل " فيضم مع عدم الساكن [٢] ، وقـــال المالقـــي [٣] "إنْ كـــان اسمـــاً فأصلها " مُنْذُ " أو حرفـــاً فهي أصل ".

وأمـــا "مُنْذُ " فالبصريون يَرَوْن أنهّا بسيطة غير مركبة ، عملاً بالظاهر إذ الأصل البساطة ، ولا يُعْدَل عنه إلا بدليل ولا دليـــل هاهنا ، والكوفيون يرون أنها مركبة ثم اختلفوا. فقضـــى الفَـــراء بأنّ أصلها " مِن ذو " من الجارة ، وذو

[١] شرح الكافيه للرضى ١٢٠/٢ ومعاني الحروف للزماني ١١٣ بتصرف .
[٢] المغني ٣٣٦/١ وشرح اللمع للأصفهاني ٥٢٢/٢ . .
[٣] رصف المباني صـ ٣٢٢

الطائية ، ويرى غيره أنَّ أصلها " من إذْ" من الجارة و"إذْ" الظــرفية ، وقيل : أصلها : مِنْ ذا " من الجارة " وذا " اسم إشارة قــال المرادي "ولهم فى تقرير هــذه الأقوال تكــلفات واهيــة " يَعْــنى أقــوال مَنْ ادّعوا تركيب " مُنْذ " والصحيح مــذهب البصريين [١] " ولــ " **مذْ و منْذُ . ثلاث حالات :**

إحداهما : أنْ يليهما اسم مجرور نحو " ما رأيه مُذْ يومين ، ومُنْذُ يومين "

قال الشاعر :

قفا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حبيبٍ ، وعِرْفَانِ ∴ ورَسْمٍ عَفَتْ آيَاتُهُ مُنذُ أزْمَانِ [٢]

فقيــل : همــا ظرفان مضافان ، وهما فى موضع نصب بــالفعل الــذى قبــلهما ، وعلى هــذا فهما اسمان فى كل موضــع ، وقيــل : إنهما حرفا جَرّ ، وهو الصحيح ، ولا يجران إلا الزمان ، فإن كان الزمان معرفة ماضياً ، فهما

---

[١] الجني الداني :٥٠١ ، والمغني ٣٣٦/١ .

[٢] قائله امرؤ القيس ، والبيت من بالطويل ، المغني ٣٣٥/١ ، وشرح شواهده : ٧٥٠ والجني الداني صـ٥٠٣ ، وأوضح المسالك ٤٩/٣ ، والهمع ٢١٧/١، وديوانه :٨٩ .

بمعـــنى : مـــن : لابـــتداء الغاية نحو " مـــا رأيته مُذْ يَوْمِ الجمعة " ، و إن كان معرفة حاضرا ،فهما بمعنى " فى " نحو"ما رأيته مذ الليلة" وإن كان نكرة فهما بمعنى " من و إلى " جميعـــاً فيدخلان على الزمان الذى وقع فيه ابتداء الفعل وانتهاؤه نحو : "ما رأيته مُذْ أربعة أيام (١) .

والحالة الثانية : أنْ يليهما اسم مَرْفوع نحو " ما رأيته مُـــذْ يَوْمُ الخميس ، ومُنْذُ يومان " وهمـــا إذ ذاك اسمان ، وفى إعرابها أربعة مذاهب :

الأول : أنهمـــا مبتدآن والزمان المرفوع بَعْدَهما خبـــر ، ويُقَدّران فـــى المعرفة بأول الوقت ، وفـــى النكرة بالأمد ، فـــإذا قـــلت : مـــا رأيـــته مُذْ يَوْمُ الخميس . فالتقدير أول انقطـــــاع الرؤية يـــوم الخميس وإذا قلت : ما رأيته مُنْذُ يومـــان ، فالـــتقدير : أَمَـــد انقطـــاع الرؤية يومـــان ، وهـــذا قـــول المبرد وابن السراج و الفارسى (٢) .

---

(١) الجني الداني :٥٠٣ ، والمغني ٣٣٥/١ ، ورصف المباني صـ ٣٢٠ .
(٢) المغني ٣٣٥/١ ، والجني الداني صـ ٥٠١ ، ٥٠٢ .

والثانى : أنهما ظرفان منصوبان على الظرفية ، وهما فى موضع الخبر ، والمرفوع بَعْدَهما مبتدأ ،والتقدير : بَيْنِي وبين لقائه يومان ، وهو مذهب الأخفش ، والزجاج والزجاجى ، وجماعة من البصريين [1].

والثالث : أنَّ المرفوع بعدهما فاعل بفعل مُقَدّر ، وتقديره : مُذْ كان يومان ، وهما ظرفان مضافان إلى جملة حُذِف صدرها ، وهذا مذهب الكوفيين ، واختاره السهيلى وابن مالك [2] .

والرابع : أنَّه خبر مبتدأ محذوف ، وهو قول لبعض الكوفيين ، وتقديره : ما رأيته من الزمان الذى هو يومان ، ونقله ابن يعيش عن الفَرّاء ، قال لأنّ " مُنْذُ " مركبة من "من " و" ذو" التى بمعنى " الذى " فى لغة طيء و" الذى " توصل بالمبتدأ والخبر [3] .

---

(1) شرح الكافيه للرضى ١١٨/٢ ، والمغني ٣٣٥/١ ، والجني الداني ٥٠٢ .
(2) الجني الداني صـ ٥٠٢ ، والمغني ٣٣٥/١ .
(3) الجني الداني صـ٥٠٢ ، والمغنى ٣٣٥/١ .

والحـــال الـــثالث : أن يليها جملة والكثير أن تكون فعلية .

كقول الفرزدق :

مازال مُذْ عقَدَتْ يَدَاهُ إزَارَهُ ∴ فَسَمَا ، فَأَدْرك خَمْسَةَ الأَشبار (١)

وقد تكون اسميه كقول الشاعر :

وَمَازِلْتُ أَبْغِى الْمَالَ مُذْ أَنَا يَافِعٌ ∴ وَلِيداً وكَهْلاً حِينَ شِبْتُ و أَمْرَدا (٢)

والمشهور أنهما حينئذٍ ظرفان مضافان إلى الجملة ، وقيل : إلى زمن مضاف إلى الجملة ، وقيل : مبتدآن ، ويقدر زمان مضاف إلى الجملة يكون خبراً عنهما.

تحقيق القول في الإنابــــــة

ممّــا ســبق يتبين لك أنَّ البصريين لا يجيزون وقوع بعض حروف الجر موقع بعضها ذاهبين إلى أنّ الحرف وضع لتأدية مَعْنًى واحدٍ أصلى أمَّا بقية المعانى التى يؤديها فتأديته لها تأدية مجازيــة ، أو مــؤول تــأويلاً يقبله اللفظ كمــا قيل فــى " ولا

---

(١) والبيت من الكامل : أوضح المسالك ٦١/٣ والمغني ٣٣٦/١ والجني الداني ٥٠٤ ، وشرح شواهده المغنى للسيوطي صـ٧٥٥ ، ،وديوانه ٣٧٨.

(٢) قائلـه الأعشـى ميمون بن قيس ،والبيت من الطــويل : أوضح المسالك ٣/ ٦٣ والعيني ٣٢٦/٣ ، والتصريح ٢١/٢ ، والهمع ٢١٦/١ ، والأشموني ٢٢٨/٢، وديوانه صـ١٠٢ .

صـــلبنكم فى جـــذوع النخل ، أنّ " فى " ليست بمعنى "على" ولكـــنه شبه المصلوب لتمكنه من الجذع بالحال فى الشيء ، وإما على تضمين الفعل مَعْنى فعل يَتَعَدّى بذلك الحرف ، كما أشرنا فيما سبق من شواهد ٠

والكوفيون يجيزون وقوع بعض حروف الجر موقع بعضها ، فــتأدية الحـــرف معـــنى حَرْفٍ آخر عنهم تأدية حقيقية ، لا مجازيـــة ، وإلاّ فما معنى التنويع فى مَعَانِى الحَرْفِ الواحد ، ومـــا معـــنى أنَّ للحرف الواحد عدة معانٍ ، فإنْ قيل : كيف يشترك حرفان أو أكثر فى معنى واحدٍ ؟ قيل : (إن هذا كثير فى اللغة ويُسَمّى بالمشترك اللفظى [1])

ولقد حاول المؤيدون لمذهب الكوفيين الدّفاع عنه قائلين " فلو سلمنا أنّ حرف الجر لا يُؤدى إلاّ معنى واحداً أصلياً ، وأنَّ ما زاد عليه لَيْسَ بأصلى ، لكان بَعْد اشتهاره وشيوعه فى المعنى الجديد ، داخلاً فى الحقيقة العرفية ، وهى لَيْسَت بمجاز "ولعل ابـــن هشام قد جنح إلى رأيهم واستهواه حين قال [2] " وهذا الأخيـــر هـــو مجمـــل الباب كُلّه عند أكثر الكوفيين وبعض

---

(1) النحو الوافي ٢/٤١٤ .

(2) المغني ١/١١١ .

المـتأخرين ، ولا يجعلون ذلك شاذاً ، ومذهبهم أقَلُّ تعسفاً "

ويقول الأستاذ عباس حسن [١] " لاشك أنَّ المذهب الثانى نفيس ؛... لأنّه عملى وبعيد من الالتجاء إلى المجاز،والتأويل ونحوهما من غير حاجة ، فلا غرابة فى أن يُؤدّى الحرف عدة معانٍ مختلفة وكلها حقيقى كما سبق ، ولا غرابة فى اشتراك عدد من الحروف فى تأدية معنى واحد ، لأنَّ هذا كثير فى اللغة ، ويُسَمّى بالمشترك اللفظى "

ولا شك أنَّ ما أيَّده عباس حسن يُفْضِى إلى مشكلات لغوية لا حصر لها ، واحداث اضطراب فى البيان لا حَدّ له.

ومن ثَـمّ حاول ابن هشام إلى تَقْيِد المطلق دفاعاً منه عن مذهب الكوفيين القاضى بصحة وقوع بعض حروف الجرِ موقع بعضها الآخر قال [٢] : " قولهم ينوب بعض حروف الجر عن بعض ، وهذا أيضاً مِمّا يتداولونه ويستدلون به، وتصحيحه بإدخال "قد " على قولهم : ينوب ، وحينئذ يتعذر استدلالهم به ، إذ كُلّ موضع ادّعوا فيه ذلك يقال لهم ، لا نسلم أنَّ هذا مِمّا وقعت فيه النيابة ، ولو صَحّ قولهم : لجاز أنْ يُقال : مررت فى زَيْد ، ودخلت من عمرو ، وكتبت إلى القلم ، على أنَّ البصريين ومَنْ تابعهم يرون فى الأماكن التى ادعت

---

(١) النحو الوافي ٤١٤/٢ .
(٢) المغني ٦٥٦/٢

فيهـا الـنيابة أنَّ الحرف ، باقٍ على معناه ، وأنَّ العامل ضمن معنى عامل يتعدى بذلك الحرف ، لأنَّ التجوز فى الفعل أسهل منه فى الحرف "

ويجعـل ابن القيم إنابة حرف عن حرف فى تأدية معناه قَول ظاهرية الـنحـاة ، وفقهـاء أهـل العـربية لا يرتضون ذلك ويحملونه على التضـمينقال : (١) " و ظاهرية النحاة يجعلون أحد الحرفين بمعنى الآخـر ،وأمَّـا فقهـاء أهل العربية فلا يرتضون هذه الطريقة ، بل يجعـلون للفعل معنى مع الحرف ، ومعنى مع غيره ، فينظرون إلى الحرف وما يستدعى من الأفعال فيشربون الفعل به معناه ، وهذه طريقة أمـام الصناعة سيبويه ــ رحـمه الله تعالـى ــ وطريقة حذاق أصحابه يضمنون الفعل معنى الفعل لا يقيمون الحرف مقام الحرف ، وهذه قاعدة شريفة جليلة المقدار تَستَدْعى فطنة و لطافة فى الذهن "٠

فابن القيم ينص على أنَّ القول بالتضمين طريقة إمام النحاة سيبويه والحذاق من أصحابه ، قاضياً بأنهم فقهاء العربية مـادحاً قولـهم بقوله : "وهذه قاعدة شـريفة جليلة المقدار تستدعى فطنة و لطافة في الذهن " فابن القيم ينص على أنَّ القول بالتضمين طريقة إمام النحاة سيبويه والحذاق من أصحابه ، قاضـياً بـأنَّهُمْ فقهاء العربية مادحاً قولهم بقوله : وهذه قاعدة شريفة جليلة المقدار تستدعى فطنة ولطافة فى الذهن " ممّا يدفعنا إلى القول برد الإنابة ، وخاصة أنَّ الشواهد التى احتج بها المجوزون خرجت على وجهٍ من وجوه التأويل سائغ مقبول لا تكليف فيه كما أسلفنا ٠

(١) بدائع الفوائد ٢١/٢

وبعد سوقنا جملة من الشواهد على التضمين فى القرآن الكريم وكلام العـــرب فلا يسَعُنا إلا قبوله وعدم رَدّه فإن قيل إن كثيراً مِمّا حملتموه عـــلى التضـــمين يمكن حَمْلُه على غيره كالإضمار مثلا كما فى قول الشاعر:

علفتها تبنا وماءَ بارداً ∴ حتّى شتت هَمَالَة عيناها

وقوله :

إذا ما الغانياتُ بَرزْنَ يوماً ∴ وزَجّجْنَ الحَوَاجِبا والعُيُونَا

فيكون التقدير فى الشـــاهد الأول : وسقيتها مـــاءً ، **وفى الثانى : كَحّلْنَ**

أقول : أليس الإضمار وجهاً من وجوه التأويل ، فَلِمَ نقبله ونرد التضمين وهو أحد وجوه التأويل أيضاً ، فإن قيل ، ليس من معانى " علف " أنال [1] حتى تحمل على التضمين ، قُلْت : الإطعام وإن كانْ ضربـــاً مـــن ضروب الإنابة وكـــذلك السقيا ، فالإنابة تشملهما وكـــذلك فى البيت الثانـــى ، فـــ " زججن " . وإن كان يَنْصَبّ على معنى معين هو دقة فى الحاجبين وطول ، والتكحيل خاص بوضع

---

[1] بدائع الفوائد ٢/٢١

الكحل فى العين ،إلاّ أنّ كُلاً منهما تزيين وتحسين للمرأة ، فتضمين " زججن " معنى زين وحسن ليس ببعيد ،لأنّ كلاً من التزجيج ، والتكحيل تزيين وتحسين .

أمّا إن كان الحمل على التضمين يؤول بالمعنى إلى بعيد ، فالأولى الحمل على غيره كما فى قوله :

شَرِبْنَ بِمَاءِ الْبَحْرِ ثُمّ تَرَفّعت ∴ مَتَى لُجَجٍ خُضْرٍ لهُنَّ نَئِجُ

وقد ذكرَت المعاجم أنَّ " شَرِب " معناه "جرع" ففى المعجم الوسيط [١] " شرب الماء و نحوه شرباً جرعه فالفعل يشرب يَعْنِى يجرع ، فهو متعد لأنّك تقول .يَشْرَب فلانُ الماء ، كما تقول : يجرعه ، فهو متعد لأنّك تقول . يَشْرَب فلانُ الماء ، كما تقول يجرعه ، وقد ذكر صاحب اللسان من معانى "شرب : جرع ، وقال [٢]: وشرب إذا روى ، وشرب إذا عطش ، وشرب إذا ضعف بَعِيره ، وعليه فشرب من الأضداد فإذا كان بمعنى " جرع " فهو متعد ــ كما سبق ــ وإذا كان بمعنى " روى "فهو لازم ، وتعديته بــ "من" أو "الباء"كما ذكر صاحب اللسان ودليل تعديته بالباء قول أبى ذؤيب برواية الدّيوان :

---

(١) المعجم الوسيط (شرب) .
(٢) اللسان (شرب) .

تروت بماء البحر ثم تنصبت ∴ على حبشيات لَهُنَّ نئيجُ [1]

فـــ " شرب " جارٍ على الحقيقة إذا كان بمعنى " روى "ومن جهة تعدى روى بالباء ، وإن كان بمعنى جَرَع فهو أيضاً جارٍ عـــلى الحقيقة فهو فعل متعد ولا حاجه إلى التضمين ، وإنّما الباء زائدة ، قال ابن جنى فى بيت أبى ذؤيب

شربن بماء البحر ... الخ

يَعْـــنِى الســـحاب ، فالباء فيه زائدة ، وإنّما معناه شربن ماء البحر هذا هو الظاهر ، والعدول عنه تعسف "

وعندى القول بالتضمين حتمٌ ما لم يكن الحمل على غيره أولى على ما بينت لك . وليس لنا دفعه كما ذهب بعض الباحثين [2].قال " ويبدوا لـــى أنَّ مسألـــة التضمين لا أساس لهـــا لأنـــه لا دليل عليه " و خاصـــــة أنـــّه استدل لـــه بأدلـــة جُلّها تحمل عليـــه و لا يصير معناها إلا إليه .

وليس لهؤلاء البعض ردّه بَعْدَ ما أقره علماء البيان ورأوا فيه ضرباً من ضروب التوسع بحذف لفظ كالحال،فالفعل المضمن

---

[1] الهذليين ٥١/١ .
[2] تناوب حر ف الجر صـ ٥٨ .

دل عـــلى معـــناه الحقيقي ، وأنت حال من الفعل الملحوظ دلت عليها القرينة فحذفت ، وحذف العامل بدليل قياس لا شبيه فيه

والتضمين أن يقصد بلفظ معناه الحقيقي ،ويلاحظ معه معنى آخر يناســبه ، ويــدل عليه بذكر شئ من متعلقات الآخر ، كقولـــك: أَحْمَـــدُ إِلَيْكَ فُلاَناً ، فإنك لاحظت مع الحمد معنى الإنهاء: ودللت عليه بذكر صلته (أي كلمة : إلى) أي : أحمد منهياً إليك حمدي إيــاه، وقال الزمخشري : حول قوله تعالى "ولتكبروا الله على ما هداكــم " وعَــدُّوا معنى التكبير بحرف الاستعلاء ليكون مضمناً معنى الحمد كأنَّه قيل : لتكبروا الله حامدين على ما هداكم " .

ويقول السعد " حقيقة التضمين أن يقصد بالفعل معناه الحقيقي مع فعل آخر يناسبه ...والفعل المذكور مستعمل في معناه الحقيقي مع حذف حال مأخوذ من الفعل الآخر بمعونة القرينة اللفظية نحو: أحمد إليك فلاناً ، معناه : أحمد منهياً إليك حمده ، وقد يعكس كما يقال في " يؤمنون بالغيب " يعتزمون به مؤمنين .

وقـــال الســـيد " ذهـــب بعضهم إلى أنَّ اللفظ مستعمل في معناه الحقيقي فقط والمعنـــى الآخر مراد بلفظ محذوف يـــدل عليه مـــا هـــــو مــــــن متعلقاته ، فتارة يجعل المذكور أصلاً في الكلام ،والمحـــذوف قيـــداً فيـــه على أنه حال كما في قولـــه تعالـــى "

ولتكبروا الله على ما هداكم " كأنه قيل لتكبروا الله حامدين على ما هداكم ، وتارة يعكس فيجعل المحذوف أصلاً"

فقد تُقدر الحال المحذوفة إذاً ، من الفعل المذكور أو من الفعل المقدر المحذوف 'إذْ قدر السعد في قوله تعالى : " ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم " ، و" لا تأكلوا أموالهم ضاميها إلى أموالكم وقدرها الزمخشري " ولا تضموها إليها آكلين ، ولكن لا يستوى الوجهان في كل موضع بل يُؤثر أحد الوجهين ويرجح بحسب المعنى .

ولا يلزم في كل تضمين أن يقدر المحذوف حالاً ، فقد يتصور غير ذلك ، على وفق المعنى المراد ، قال السيد (والمعنى الآخر مراد بلفظ محذوف يدل عليه ما هو من متعلقاته " وقال الزمخشري حول قوله تعالى : " قُلْ يَاعِبَادي الذّينَ أسْرَفُوا عَلَى أنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ "

(أسرفوا على أنفسهم : جنوا عليها بالإسراف في المعاصي والغلو فيها ، ولم يقل جنوا عليها مُسْرِفين "

ولا يشترط في التضمين أن يستدل على المعنى الملحوظ بحرف أو صلة ، فقد يضمن الفعل اللازم معنى فعل متعد ، أو يضمن

الفعــل المتعدي إلى مفعوله الثاني بالحرف معنى فعل متعد إلى مفعولين فلا يكون هناك صلة كما في قوله تعالى :" وَلاَ تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ " فضمن الفعل " ولا تعزموا الــلازم معــنى الفعل "لا تنووا" وقولــه عزّ و جلّ : " فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عن أمره " ضمن "يخالون" المتعدى معنى اللازم "يخــرجون" فعــدى بـــــ"عن" ولسنا في حاجة أن نستدل على المعنى الملحوظ ها هنا بحرف أو صلة ، وإنما يشترط أن تقوم ثمة قرينة للتضمين .

التضمين والإضمار

كثير من الشواهد التي أوردناها فيما سبق محمولة عند البصريين إما على التضمين ، وإما على الإضمار فأي الحملين أولى الحمل على الإضمار أم الحمل على التضمين قيل وقيل :

فذهـــب الفارسي وجماعة منهم الفراء إلى أنَّ الإضمار أولى من تضمين كلمة معنى آخر على سبيل المجاز .

وذهـــب أبوعــبيد ، والأصــمعي وجماعــة منهم اليزيدي ، والجــرمي ، والمــازني والمــبرد إلى أنَّ التضمين أولـــى من الإضــمار ، وقــد رجح أبو حيان الإضمار على التضمين (١) قـــال الله تعـــالـــى (٢)" والذيـــن تَبَوَّؤُا الدَّار والإيمان " فإنَّ " الإيمان " لا يوصف بالتبوّؤ ، وقـــال الشاعر :

علفتها تبناً وماءً بارداً ∴ حَتَّى غَدَت هَمّالةً عيناها (٣)

فإن العلف لا يطلق على الماء .

---

(١) الكوكب الدّري ، للأسنوي صـ ٤٨٨، ٤٨٩ والارتشاف ٦٣٥/٢.

(٢) الحشر :٩ .

(٣) لم أقف له على نسبه إلى قائل معين ، والبيت من الرجز ، الخصائص ٤٣١/٢ ،والأمالي الشجرية ٣٢٢/٢ ، وأوضح المسالك ٢٤٥/٢ ، والكوكب الدّري صـ ٤٩٠ .

فقيل : إن ذلك من باب الإضمار ، وتقديره في الآية : واعتقدوا الإيمان ، فيكون من عطف الجمل .

وقيل ، إنا نضمن "تبوؤوا" معنى يَصِحُّ إسناده إلى المعطوف ، والمعطوف عليه هو " أحبوا" في الآية وأنلتها في البيت ، والعطف حينئذ من عطف المفردات .

قال الصبان (١) " قوله " وألفوا الإيمان ، أي فالعطف من عطف الجمل ، وجعله قوم من عطف المفردات بتضمين الفعل الأول معنى فعل يتسلط به على المعطوف أي : آثروا الدَّارَ والإيمانَ" وقول الشاعر :

إذا ما الغانيات بَرَزْنَ يوماً ∴ وزَجَّجْنَ الحَوَاجِبَ والعيونا (٢)

محمول إما على الإضمار أي : وكحلن العيونا ، لأنَّ العيون لا تزجج وإنما تكحل ، وإما على تضمين الفعل الأول معنى فعل يتسلط به على المعطوف أي : وزين الحواجب والعيونا أو : حَسَّنَّ الحواجب والعيونا .

---

(١) حاشية الصبان ١١٧/٣ .

(٢) قائله : الراعي النميري والبيت من الوافر : الخصائص ٤٣٢/٢ ، والإنصاف ٦١٠/٢ والمغنى ٣٥٧/٢ وشذور الذهب ٢٤٢ ، وأوضح المسالك ٢٤٧/٢ ، والتصريح ٢٤٦/١ والأشموني ١٤٠/٢ .

وقال الشاعر :

فَعَلاَ فُرُوعَ الأَيهقان ، وأطفلت ∴ بالْجلهتَين ظِباؤها ونَعَامُهَا (1)

يحتمل أنَّه أراد : أطفلت ظباؤها ، وباضت نعامعها ، لأنَّ النعام لاتلد وإنما تبيض ، ويحتمل أنَّه أراد : نتجت ظباؤها ونَعَامها ، فوضع " أطفلت " موضع " نتجت " ومثله في احتمال التأويلين قول الآخر :

تَرَاه كَأنَّ اللهَ يَجْدَعُ أنْفَهَ ∴ وَعَيْنَيْه أنَّ مَوْلاَهُ صَارَ لَهُ وَفْرُ (2)

فيحتمل أنه أراد : يجدع أنفه ويفقأ عينيه لأن العين لا تجدع إنّما تُفقأ ، ويحتمل أنه أراد : كأنَّ الله يذهب انفه وعينيه ، فوضع يجدع موضع "يذهب " وقا ل الآخر :

ياليت بَعْلَكِ قَدْ غَدَا ∴ مُتقلدً سَيْفاً ورُمْحَا (3)

---

(1) قائله لبيد ، والبيت من الكامل ، الخصائص ٤٣٢/٢ ن والانصاف ٦١١/٢ .

(2) قائله : خالد بن الطيفان أو الزيرقان بن بدر والبيت من الطويل ، الخصائص ٢/ ٤٣١ والحيوان ٤٠/٦ مجالس ثعلب صـ٤٦٤ ، العيني ١٧١/٤ والهمع ١٣٠/٢

(3) قائله : عبدالله بن الزبعري ، والبيت من الكامل ، والمقتضب ٥١/٢ ،والكامل ١٨٩ ، ٢٠٩ ، والخصائص ٤٣١ ، والأمالي الشجرية ٢٣١/٢ ، والإنصاف ٢/ ٦١٢ ، وشرح المفصل ٥٠/٢ ، والهمع ٥/٢ والأشموني١٧٢/٢ .

أي متقلد سيفاً وحاملاً رمحاً لأنَّ التقليد لا يكون إلا للسيف ويحتمل أنه أراد : مستعملاً سيفاً وَرُمْحَا .

وقال آخر :

مَاذَا أَرَدْتَ إلى شتمي ومَنْقَصتِي ∴ أما تُعِيرَ مِنْ حَمّالةِ الْحَطَبِ (١)

فيرى بعضهم أن تعدية الفعل " أراد " بـ" إلى " غير مستقيمة ، والأولى ألاّ تحمل على ظاهرها إلا بتأويلها تأويلاً يتفق واطراد اللغة ، فقال بالتضمين : أي بشيءٍ أردته مائلاً أنت إلى شتمى ، أو منضماً هو إلى شتمى ، أو " إلى شتمى " متعلق بمحذوف ، أوْ ما الذي أردته من شتمي ، أو مع شتمى .

فالتأويل هاهنا اشتمل على القول ، بالإضمار والنيابه ، والتضمين بتقدير حال تناسب المعمول ، فيجعل المُقَدّر حالاً ،وهو مائلاً أو منضماً .

قال الأسنوى (٢) : " واختار أبو حيان أنَّه إنْ كان العامل الأول تَصِحّ نسبته حقيقته إلى الذي يليه كالآية (يعنى قوله تعالى " والذين يَبَوّؤا الدار الإيمان والبيت يعني قوله :

● وعلفتها تبنا وماء بارداً *

(١) قائله الفضل بن العباس ، والبيت من البسيط ، الكشاف ٢٤١/٤ .
(٢) الكوكب الدري صـ ٤٩٠ ، ٤٩١ .

كان الإضمار في الثاني أولى ، لأنّه أكثر من التضمين ، وإن كـان لا تصـح كقول العرب : علفتها ماءً بارداً وتبناً " أى : بـتقديم الماء ـ تعين التضمين قال : والأكثرون على أنَّ هذا التضـمين ، أى : المذكور فى العطف ينقاس ،والضابط .أن يجمع الأول والثانى معنى عام "

وقـال السـيوطى [١] : الإضمار أسهل من التضمين ، لأنَّ التضـمين زيادة بتغير الوضع ، والإضمار زيادة بغير تغيير قال بدر الدين بن مالك فى

(تكـلمة شرح التسهيل) واستدل على أنَّ الجزم . فى نحو " قُلْ لِعِـبَادِى يقولـوا التى هِىَ أَحْسَنُ " بإضمار"أن" لا بتضمين لفظ الطـلب معـنى الشرط "وقال ابن الشجرى [٢] : وأقول إنَّ هذا الفن متسع فى كلام العرب يُقَدِّرون للثانى ما يصلح حمله عليه ، ولا يخرج به عن المراد بالأول فيقدرون فى قوله :

يَالَيْتَ زَوْجَكِ قَدْ غَدَا ∴ مُتَقَلِّداً سَيْفاً ورمحً

وحَامِلاً رُمْحًا ، كما قد روى فى قوله :

فعلفها تبنا و ماءً بارداً

---

(١) االأشباه والنظائر ١/١٠٠ .
(٢) الأمالي الشجرية ٢/٣٢١ ، ٣٢٢ ، وانظر الخصائص ٢/٤٣١ ، ٤٣٢ .

وســـقيتها ، وقد قيل فى قوله سبحانه " والذين تَبَوَّؤوا الدَّارَ والإيمانَ " إن المعنى ، وأحبوا الإيمان ......"

وقوله : إنَّ هذا الفن متسع فى كلام العرب : يقدرون للثانى ما يصلح حمله عليه ولا يخرج به عن المراد بالأول .." دليل على أنَّ الإضمار أكثر من التضمين . وإن لم يصرح بذلك .

المصادر والمراجع

- الاتقان فى علوم القرآن / للسيوطى / ت / مصطفى ديب البغا ـ دار ابن كثير ـ دمشق وبيروت ط (١) ١٤٠٧ هـ
- أدب الكاتب -لابن قتيبة ت /محمد محي الدين عبد الحميد - بدون .
- ارتشاف الضرب لابى حيان ت د / مصطفى النماس - مطبعة النسر الذهبى - مصر ط (١) ١٤٠٨ هـ -١٩٨٦م
- الأزهية فى علم الحروف للهروى ت / عبد المعين الملوحى ـ دمشق ١٣٩١ هـ ـ ١٩٧١ م
- أسرار العربية لأبى البركات بن محمد الأنباري ت / البيطار، مطبعة الترقى ـ دمشق ١٣٧٧ هـ ـ ١٩٥٧ م
- الأشباه والنظائر للسيوطى راجعه وقدم له د/ فايز ترخينى ، دار الكتاب العربى ط (١) ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤ م
- الأصول فى النحو لابن السراج ت د/ عبد الحسين الفتلى ـ مطبعة النعمان ـ ١٩٧٣ م
- اعجاز القرآن للباقلانى ت / أحمد صقر ـ دار المعارف ط (٥) بدون .
- الأمالى الشجرية لابن الشجرى ـ دار المعرفة ـ بيروت ط (١) بدون تاريخ
- الإنصاف فى مسائل الخلاف ، لأبى البركات الأنبارى ت / محمد محى الدين عبد الحميد ، دار الفكر ، بدون .

- أوضـــح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، لابن هشام ت محمد محى الدين عبد الحميد ط (٥) ١٣٩٩ ــ ١٩٧٩ م
- الإيضاح العضدي ــ لأبي علي الفارسى ، ت / حسن فرهود ــ دار العلوم ــ الرياض ط (٢) ١٤٠٨ هــ ١٩٧٨م
- الإيضاح فى علل النحو للزجاجى ت د / مازن مبارك ــ دار النفائس ط (٤) ١٤٠٢ هــ .
- البحر المحيط لأبى حيّان دار الفكر ط (٢) ١٣٩٨ ــ ١٩٧٨ م.
- بدائع الفوائد لابن القيم ــ دار الكتاب العربى ــ بيروت ــ بدون تاريخ .
- البرهان فى علوم القرآن ــ للزركشي ت الأستاذ / محمد أبو الفضل إبراهيم ــ عيسى الحلبي ط (٢) بدون تاريخ .
- البيان فى غريب إعراب القرآن ــ لأبى البركات بن الأنبارى ت د / طه عبد الحميــد طــه دار الكتاب العربى للطباعة والنشر ــ القاهرة ــ ١٣٨٩ هــ ١٩٦٩م .
- تــأويل مشكل القرآن ــ لابن قتيبة . شرح / أحمد صقر ــ المكتبة العلمية بالمدينة المنورة ط (٣) ١٤٠١هــ -١٩٨١م.
- تحريــر التحــبير فى صــناعة الشعر والنثر ، وبيان إعجاز القرآن . لأبى الأصبع المصري ت د / حفنى محمد شرف ــ القاهرة ١٣٨٣هــ ــ المجلس الأعلى للشئوون الاسلامية.
- تسهيل الفوائد و تكميل المقاصد ، لابن مالك ت / محمد كامل بركات ــ دار الكتاب العربي للطباعة و النشر ــ ١٣٨٧هــ ١٩٦٧م .
- تــناوب حــروف الجــر في لغة القرآن . للدكتور محمد حسن عواد . دار الفرقان ــ ط (١) ١٤٠٢هــ -١٩٨٢م.

- الجـــني الدّاني في حروف المعاني ــ للمرادي ت د /فخر الدين قباوة ، دار الآفاق الجديدة ــ بيروت ط (الأولى) ١٣٩٣هـــ ــ ١٩٧٣م ط (٢) هــ ١٤٠٣هـــ - ١٩٨٣م .
- جواهر الأدب للإربلي – مكتبة النهضة المصرية ١٤٠٤هـــ- ١٩٨٤م .
- حـــــروف المعـــاني – للزجاجي ت/على الحمد – مؤسسة الرسالة –بيروت ط(٢)١٤٠٦هـــ – ١٩٨٦م .
- حاشية الصبان علي الأشموني – للشيخ الصبان- دار إحياء الكتب العربية – عيسى البابي الحلبي وشركاه – بدون تاريخ .
- حاشية يس علي التصريح – للشيخ ياسين – مطبعة مصطفى البابي الحلبي بدون تاريخ .
- الخصـــائص ،لإبـــن جني – ت/محمد علي النجار – الهيئة المصرية العامة للكتاب- ١٤٠٦هـــ – ١٩٨٩م .
- دراســـات فـــي اللغة – الشيخ محمد الخضر حسين – جمع وتحقيق – علي الرضا التونسي – ١٣٩٥هـــ- ١٩٧٥م .
- دراسات لأسلوب القرآن – للشيخ محمد عبدالخالق عضيمه- دار الحديث- القاهرة .
- رصـــف المـــباني في شرح حروف المعاني ، للمالقي ت/أحمد الخراط- دار القلم – دمشق ط(٢) ١٤٠٥هـــ – ١٩٨٥م .
- سر صناعة الإعراب لابن جني – ت د/ حسن هنداوي – دار القلم- دمشق ط(١) ١٤٠٥هـــ- ١٩٨٥م .
- شـــرح الأشموني على ألفية إبن مالك ومعه حاشية الصبان – عيسى البابي وشركاه بدون تاريخ.

- شرح التسهيل – لإبن مالك ت/ عبدالرحمن السيد – ود/محمد المختون – هجر – القاهرة – ط(١) ١٤١٠هـ –١٩٩٠م.
- شــرح التصــريح على التوضيح – للشيخ خالد الأزهري – مطبعة عيسى البابى الحلبي بدون تاريخ.
- شرح الجمل لابن عصفور ت د/ صاحب أبو جناح– ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م.
- شــرح الرضى لكافية ابن الحاجب ت د/ حسن حفظي ق(١) ود/يحيى بشير مصــــــري ق(٢) مطـــبوعـــــات جامعـــة الإمام – ١٤١٤هـ–١٩٩٣م، ١٤١٧هـ –١٩٩٦م . .
- شرح الكافية الشافية لإبن مالك ت د/ عبد المنعم هريدي – دار المأمون – دمشق – بيروت ط(١) ١٤٠٢هـ –١٩٨٢م.
- شرح المفصل – لابن يعيش – مكتبة المتنبي القاهرة – بدون تاريخ .
- الصاحبــي لابن فارس – المكتبة السلفية –١٣٢٨هـ–١٩١٠م.
- الكتـــــاب لسيبويه –ت/عبد السلام هارون – عالم الكتب – ط(٣) –١٤٠٣ هـ ١٩٨٣م.
- الكشاف للزمخشري – دار المعرفة – بدون تاريخ .
- الكـــافي في علم العروض والقوافي – للتبريزي ت/ الحساني حسن عبدالله – نشر مكتبة الخانجي .
- اللــــباب في علل البناء والإعراب – للعكبري ت د/غازي مختار طليمات – عبدالإله نبهان – دار الفكر – بيروت ، دمشق ط(١) ١٤١٩هـ–١٩٩٥م .
- لسان العرب لإبن منظور – طبعة دار المعارف .
- مجـــاز القرآن ، لأبي عبيدة – ت/ محمد فؤا مؤسسة الرسالة بيروت ط(٢) ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م .

- المزهــر للســيوطي ت أ/ محمــد أحمد جاد المولى ، وآخرين- دار إحياء الكتب العربية – عيسى البابي الحلبي وشركاه.
- المســائل العسكرية لأبي على الفارسي – ت د/ محمد أحمد الشاطر – مطبعة المدني – مصر ط(١) ١٤٠٣هـ – ١٩٨٢م .
- المســاعد على تسهيل الفوائد لابن عقيل ت د/ محمد كامل بركات – دار الفكر دمشق –١٤٠٠هـ–١٩٨٠م .
- المصباح المنير للفيومي – دار القلم بيروت لبنان – بدون تاريخ .
- معاني الحروف للرماني ت د/ عبدالفتاح شلبى – دار نهضة مصر – القاهرة .
- معاني القرآن للأخفش ت د/ فائز فارس – الكويت ١٩٨١م
- معاني القرآن ، للفراء – عالم الكتب – بيروت – ط(٢) ١٤٠٧هـ– ١٩٨٣م .
- مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام ت / محمد محي الدين عبد الحميد – مطبعة صبيح بدون تاريخ .
- المفصل في علم العربية – للزمخشري – دار الجبل – بيروت ط(٢)
- المقتضب لمحمد بن يزيد المبرد – ت/محمد عبدالخالق عضيمه–عالم الكتب – بدون تاريخ .

- المنصف شرح تصريف المازني لابن جني ت/ إبراهيم مصطفى ، وعبدالله أمين -طبعة البابي الحلبي -١٩٥٤م
- الموجــز فــي النحو ، ابن السراج ت/ الشويمي ودامرجي ، بيروت ١٩٦٥م.
- النحــــو الوافي أ/عاس حسن - دار المعارف - مصر ط(١١) .
- النشـــــــر فــي القراءات العشر لابن الجرزي - ت/ محمد أحمد دهمان - دمشق ١٣٤٥هـ .
- همع الهوامع للسيوطي - مصر ١٣٢٧هـ .

فهرس القضايا والمسائل

الموضوع	الصفحة

رقم الايداع بالكتاب
٢٠٠١/١٠١٩٩